② القسم الثانى

نحو تطوير منظومة التعليم

- تمهيد.
- دور منظومة التعليم فى مقابلة تجليات عصر العولمة.
- منظومة التعليم وأخلاقيات العولمة.
- منظومة التعليم المدرسى فى مقابلة صدمات المستقبل بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١.
- منظومة تعليم الموهوبين فى عصر التميز والإبداع.. إلى أين؟!.
- دور الثقافة العلمية والتقانية فى تنمية مخرجات منظومة التعليم، بما يتوافق مع متطلبات عصر العولمة.
- الجدوى الاقتصادية لتعريب التعليم الجامعى فى عصر العولمة.

تمهيد:

بادئ ذى بدء، ينبغى تأكيد أن التعليم هو الطريق الطبيعى لبناء مستقبل الفرد والمجتمع، على حد سواء، وذلك ما يوضحه الحديث التالى:

من المهم التحدث عن المستقبل وعن التحديات التى تواجهنا لنرسم معا خطواتنا نحو المستقبل. بمعنى؛ لابد لنا فى البداية من وقفة مع النفس نواجه فيها أنفسنا بالحقيقة، فنحن الآن نعيش عصرا تسيطر عليه قوى جديدة تدير اللعبة وتتحكم فى قواعدها، ونحن كعرب لانملك استراتيجية واضحة للتعامل مع قواعد تلك اللعبة وليس لدينا سياسة موحدة لمواجهتها، ولا نملك القدرة المعرفية التى تجعلنا من واضعى قواعدها. وإن كنا قد اخترنا طريق المستقبل لأنه اختيار حتمى فلابد لنا من الاستعداد لهذه الرحلة. يجب أن نعد العدة وأن نؤمن أنفسنا ونحصن أبناءنا ونتدرب على مهام المستقبل... وكما يقول الدكتور **حسين كامل بهاء الدين:** إن رحلة المستقبل تقتضى منا بوصلة ومشكالا.. لأن عالم الغد لايخضع للمقاييس والرؤي الخطية أو القوالب الجامدة، وإنما يتميز بالتشابك والتعقيد الذى يصل إلى حد الفوضى والتداخل الذى يؤدى إلى الارتباك.

لابد أن نواجه أنفسنا.. هل نريد أن نكون منافسين ومشاركين ولنا إرادة أم مهمشين ومتفرجين ولا حول لنا ولاقوة؟ وما العمل؟

ولكى نضع جوابا شافيا لهذه التساؤلات لابد وأن نعى أن العالم المتقدم قد استطاع أن يتطور سريعا من خلال مجموعة من القيم والأساليب أصبحت هى الركائز الأساسية للتطور والتقدم. فالعالم اليوم يتجه للاقتصاد الحر وبذلك تقلص دور الحكومات وانتقل جزء كبير من مسئوليتها للقطاع الخاص والمجتمع المدنى، وهنا يأتى دور رجال الأعمال فى اعداد القوى البشرية لمواجهة المستقبل. وفن الموارد من أهم العناصر لنجاح أى عمل، وأهم هذه الموارد هو الوقت فهو قيمة اقتصادية، وقيمة تقدم وقيمة حضارية، والاتقان فى العمل قيمة من قيم التقدم والتميز، لابد من التدريب المستمر فيها، من أجل تنميتها لنكون مجتمعا قادرا على المنافسة. أيضاً، تقديس العلم واحترام التعليم قيمة أخرى، فمعارك الحياة تحسم لصالح من درس وخطط واستثمر ذكاءه واجتهد فوجد.

وعلى الصعيد العالمى يجب أن نستفيد من التغيرات المستقبلية، فسيطرة القطب الأعظم على العالم وضع يجب أن نتعامل معه بواقعية وبعقلانية، فما يمكن علاجه نتحمله وما يمكن الوقاية منه يجب أن نتداركه. لابد أن يكون اتصالنا بالقطب الأعظم فى إطار عقلانى يركز على المصالح المشتركة والتطورات المستقبلية وإقامة جسور التفاهم والحوار مع العقلاء والمفكرين منهم، وإيجاد محاور عمل مشترك تصل بنا جميعا إلى السلام.

ومن أجل تغيير موقعنا على الخريطة علينا عبء آخر هو بناء قوتنا الذاتية، وأول هذه القوى هى الثروة البشرية. فالإنسان عنصر أساس فى التنمية الدائمة ، وهو هدفها -أيضا- ولابد أن تكون هذه التنمية تنمية شاملة تكنولوجية واجتماعية وثقافية واخلاقية. فالإنسان هو الثروة الحقيقية لأى أمة، فقد صنعت الثروة البشرية فى عصر الفراعنة أكبر وأعرق حضارة فى العالم. وعملية تطوير التعليم لها مجموعة من الآمال والأهداف الكبرى، **أولها**: تكافؤ الفرص الذى نحرص على تطبيقه، ويستلزم استكمال البنية الأساسية للمعرفة لمواجهة المنافسة العالمية، فنحن لا نملك حرية التعامل بمعايير محلية فى مسابقة عالمية، لذلك يجب القضاء على الأمية، فلا يمكن أن ننافس دون أن نستعين بهذه الشريحة من المصريين لننافس بكامل ثروتنا البشرية، **والهدف الثانى**: هو التوسع فى التعليم لنصل إلى أكبر نسبة استيعاب لكل الأطفال ولمنع التسرب من التعليم.

ولاشك أن مستوى التعليم يؤثر على فرص العمل المتاحة وعلى قدرة الإنسان الاقتصادية ومركزه الاجتماعى. والهدف الثالث: هو تحقيق مبدأ التعليم للتميز والتميز للجميع. فمع سيادة نظام العولمة لابد وأن ندخلها فاعلين قادرين منافسين، لذلك فالتعليم للتميز والتميز للجميع ليس شعارا، وإنما هو ضرورة بقاء وضرورة منافسة عالمية وأمن قومى فلا مكان فى العالم الجديد للجهلاء أو انصاف المتعلمين ولكن للمتميزين والمبدعين.. **أما الهدف الرابع**: فهو تحقيق مبدأ الجودة الشاملة الذى يتطلب أن ينجح نظام التعليم فى تعظيم قدرة الإنسان على المشاركة فى عملية التنمية. علينا أن نرتفع بكفاءة التعليم وتحسين جودته لتكون لدى أولادنا الخبرة والقدرة على مواجهة تحديات سوق العمل، فلا يستطيع أى أجنبى أخذ الفرصة منهم وإزاحتهم عن مصدر كسبهم. من أجل هذا يجب أن ناخذ بالتجارب والمفاهيم التربوية الجديدة للارتقاء بجودة التعليم والانتقال به من دائرة المحلية إلى آفاق أكثر شمولا واتساعا تخطو به بخطي واثقة نحو المنافسة العالمية، ومن أهمها الاعتماد التربوى، وهو نظام يتطلب مجموعة من الإجراءت يجب الالتزام بها واتباعها لضمان الجودة الشاملة. **والهدف الخامس**: هو تنمية الطفولة المبكرة، فقد ثبت علميا أن هناك عدة أنواع من الذكاء يولد بها الإنسان، ولايمكن أن نقول أن أحد هذه الأنواع من الذكاء أكثر أهمية من الآخر. لذلك يجب أن نركز التعليم فى هذه المرحلة على تنمية كل أنواع الذكاء مما يساعد على التنمية السوية لشخصية الطفل. وقد أظهرت الأبحاث أن أكثر من ٩٠٪ من الأطفال يمكن الوصول بهم إلى مرحلة التميز إذا ما أعطي الواحد منهم الوقت الكافى والتعليم المناسب، ويعد الاستثمار في مرحلة الطفولة المبكرة الاستثمار الأمثل لأية أمة خاصة فى عصر يقوم فيه الاقتصاد على المعرفة، ولكن يجب ألا يتم هذا الاستثمار على حساب حق الطفل فى التمتع بطفولته واشباع حاجاته الطبيعية.

والحقيقة، إذا كان التعليم هو طريقنا نحو المستقبل، فإننا يجب ألا نسقط من حساباتنا العلاقة تبادلية التأثير بين التعليم والديمقراطية. فالتعليم أساس من أساسات التعريف بالديمقراطية، كما أن الديمقراطية ركيزة تفعيل التعليم بما يسهم فى تحقيق أهدافه، وذلك ما يوضحه الحديث التالى:

لقد نجح (**ريتشارد هاس**) مدير قسم التخطيط السياسى فى وزارة الخارجية الأمريكية فى محاضرته التى ألقاها فى مجلس العلاقات الخارجية فى واشنطن وذلك فى الرابع من ديسمبر ٢٠٠٢، نجح فى تجميع عدد من النقاط الأساسية التى تتعلق بالديمقراطية استقاها كما يقول من واقع الممارسة، وهى تمثل الولايات المتحدة الأمريكية إطارا مرجعيا قامت عليه من بعد مبادرة الشراكة الديمقراطية التى أعلن عنها **كولن باول** وزير الخارجية الأمريكية.

وها هو فى النقطة الرابعة من خبرات الممارسة يثير قضية معروفة، وإن كان يشتد الخلاف بين منظرى الديمقراطية حولها، وهو علاقة الممارسة الديمقراطية بالتعليم.

يقول (**ريتشارد هاس**): «الديمقراطية تعتمد على شعب مطلع ومتعلم. التعليم يمكن الشعب من التعرف على حقوقه وعلى كيفية ممارستها. فالشعوب المتعلمة القادرة على اتخاذ قرارات تستند إلى معلومات تساعد الديمقراطية على التجذر. لقد حققت البلدان العربية تقدما بارزا فى تعزيزها القراءة والكتابة، لكنها قامت بجهود أقل فى إيجاد شعوب واسعة الإطلاع والقراءة».

والحقيقة أن الأنظمة التعليمية لا تعد الطلاب للنجاح فى القرن الحادى والعشرين، وفى هذا الصدد: يحدد **عبد الحميد الأنصارى** عميد كلية الشريعة فى جامعة قطر المشكلة بصورة مباشرة تماما: «إن قسما مهما من خطابنا التعليمى منقطع عن العلوم الحديثة، وهو قائم على نظرة ذات بعد أحادى مما يوجد عقلية مقفلة ومنحى سهلا باتجاه التعصب. فهى تزرع مفاهيم خاطئة تتعلق بالنساء وبالأقليات الدينية أو الإثنية وتسيطر عليها أساليب الحفظ غيبا والتكرارية».

التعليم يعنى أكثر بكثير من مجرد الذهاب إلى المدرسة. فالديمقراطيات المزدهرة تتطلب تقاليد المساءلة وليس الحفظ عن ظهر قلب».

ويعلق (**السيد يسين**) على حديث (**هاس**)، فيقول:

لو حللنا ما ذهب إليه **ريتشارد هاس** فيما يتعلق بالديمقراطية والتعليم لقلنا على وجه الاجمال أن أحكامه تتضمن حقائق ثابتة من ناحية وتعميمات جارفة تنقصها الدقة من ناحية أخرى. وسنقف وقفة نقدية أمام كل عبارة من العبارات التى صاغها بدقة ملحوظة.

– العبارة الأولى تقرر أن الديمقراطية تعتمد على شعب مطلع ومتعلم لأن التعليم يمكن الشعب من التعرف على حقوقه وعلى كيفية ممارستها. ونحن نوافق بشكل عام على هذه العبارة. ذلك أنه كلما زادت نسبة التعليم والإطلاع فإن ذلك يساعد المواطنين في التعرف على حقوقهم وكيفية ممارستها. غير أن هذا المبدأ النظرى الذى لا خلاف عليه إطلاقًا يتجاهل مشكلات الممارسة السياسية في التطبيق. ذلك أنه ثبت تاريخيا أن انتشار التعليم في بلاد أوروبية مثل ألمانيا لم يمنع من قيام النازية، وهي مذهب شمولي مضاد للديمقراطية على طول الخط، كما أنه لم يمنع الفاشية وهي مذهب شمولي آخر أن تسيطر على إيطاليا وذلك في الثلاثينيات من القرن العشرين. ويمكن أن نضيف إليهما النزعة العسكرية العنصرية التي سادت اليابان الإمبراطورية في نفس الحقبة.

والسؤال هنا: لماذا لم يمنع التعليم قيام النازية والفاشية والنزعة العسكرية في كل من ألمانيا وإيطاليا واليابان. والإجابة أن التعليم شرط ضرورى، وإن كان ليس كافيا لتحقيق الديمقراطية! إذ لابد من توافر شروط متعددة أخرى، أهمها – ولاشك – أن يؤدى نضال الشعوب في سبيل التحرر من هيمنة الأقلية أيا كانت دينية أو عسكرية أو طبقية أو سياسية إلى ترسيخ قواعد الديمقراطية عن اقتناع تام وتراض بين النخبة السياسية والجماهير العريضة ، ويؤكد ذلك الدراسة التاريخية لنشأة وتطور النظام الديمقراطي.

وعلى ذلك يمكن القول إن التعليم وانتشاره بين الجماهير ليس عاصما بذاته من نشوء نظم سياسية شمولية أو سلطوية.

– وإذا انتقلنا إلى العبارة الثانية المرتبطة بالأولى ارتباطا عضويا نجدها تقرر أن الشعوب المتعلمة قادرة على اتخاذ قرارات تستند إلى معلومات تساعد الديمقراطية على التجذر.

وأول ملاحظة نقدية هنا أن الشعوب ليست هي التي تتخذ القرارات، ولكنها النخب السياسية الحاكمة. وهذه النخب بحكم مصادر القوة المتعددة التي تمتلكها تسمح لها باتخاذ قرارات في السلم والحرب مضادة تماما لمصالح شعوبها تحقيقا لمصالحها الطبقية أو للمصلحة الاستراتيجية للدولة، كما تتبلور في إدراك هذه النخبة في لحظة تاريخية ما، وقد يكون هذا سوء إدراك، وليس إدراكا موضوعيا لتوازن القوى في لحظة ما.

ولو نظرنا مليا إلى حالة الولايات المتحدة الأمريكية لوجدنا الإدارات الأمريكية المختلفة جمهورية كانت أو ديمقراطية في مجال السياسة الداخلية تخضع لتأثير جماعات الضغط وجماعات المصالح وتصدر تشريعات لمصلحة الأقلية من كبار رجال الأعمال الذين يمثلون الشركات العملاقة مما من شأنه أن يضر ضررا بليغا بمصالح الجماهير العريضة.

ولو ولينا وجهنا إلى القرارات في مجال الحرب لوجدنا أن الإدارة الأمريكية سبق أن اتخذت قرارا خطيرا أدى إلى تورط الولايات المتحدة في حرب فيتنام بزعم مكافحة الشيوعية

والحد من توسعها مما أدى فى النهاية إلى ثورة الجماهير الأمريكية ضد الحرب، بعدما تساقط الآلاف من الجنود الأمريكيين وظهرت الهزيمة الأمريكية الساحقة فى الحرب للعيان.

وينبغى ألا ننسى أبدا أن إشارة **هاس** إلى أن الشعوب المتعلمة قادرة على اتخاذ قرارات تستند إلى معلومات تتجاهل أن أجهزة الدولة الإيديولوجية -لو استخدمنا التعبير الشهير للفيلسوف الفرنسى الماركسى **لويس التوسير**- والتى تتضمن الإعلام بكل فروعه بل والتعليم نفسه قادرة على نشر الوعى الزائف بين الجماهير والتى لا حول لها ولا قوة فى إطار المجتمعات الجماهيرية التى تسيطر على صناعة الإعلام فيها مؤسسات وشركات كبرى وثيقة الصلة بالنخب السياسية الحاكمة، بل هى بالأصح عنصر أساسى من عناصرها. ومن هنا يمكن القول إن الشرط الأساسى لتجذر أى ديمقراطية هو الشفافية الكاملة فى مجال المعلومات فهى -بالإضافة إلى شروط أخرى مهمة- التى تسمح للجماهير بأن تناقش المشكلات الداخلية والخارجية عن وعى وأن تراقب درجة الرشد فى عملية صنع القرار.

وتتضمن عبارات **ريتشارد هاس** فيما يتعلق بتقويمه للأنظمة التعليمية العربية تعميمات جارفة لاسند لها. وإذا كنا فى الوطن العربى ننتقد سياسات التعليم ومحتواه واتجاهاته فلا يمكن أن نوافق على الحكم القاطع الذى قرره (**هاس**) من أن هذه الأنظمة التعليمية لاتساعد الطلاب على النجاح فى القرن الحادى والعشرين. وإذا كان صحيحا أن قسما من الخطاب التعليمى العربى -كما قرر **عبد الحميد الأنصارى** - منقطع عن العلوم الحديثة خاصة فى مجال التعليم الدينى مما من شأنه أن يؤدى إلى بروز عقليات مقفلة تؤدى فى النهاية إلى التعصب، فإن هذه الحقيقة ينبغى ألا تعمم على كل برامج التعليم العربى. وحتى فى هذا القسم التقليدى من التعليم العربى هناك محاولات متعددة لتطويره كما حدث بالنسبة لتطوير جامعة الأزهر فى مصر فى الستينيات من القرن العشرين مما أدى إلى تحديث التعليم الدينى بصورة ملحوظة وتحوله لكى يواكب التطورات العصرية فى مجال العلوم.

وإذا كانت الديمقراطيات المزدهرة -كما يقرر **ريتشارد هاس** أخيرا- تتطلب تقاليد المساءلة، فعلينا أن نسأل: هل نجحت هذه التقاليد- بالرغم من أهميتها القصوى فى أى ممارسة ديمقراطية- فى مساءلة الجماهير الأمريكية لقادتها السياسيين عبر عشرات السنين التى تعاقبت على الحكم فيها إدارات جمهورية وديمقراطية عن صحة القرارات السياسية التى أصدرتها فى مجال السياسة الداخلية أو فى مجال السياسة الخارجية؟.

خلاصة القول، لايمكننا أن نجادل فى صحة أن التعليم ركيزة بناء المستقبل، وفى وجود علاقة جوهرية وحيوية بين التعليم والديمقراطية، لذلك من المهم بمكانة إدارة أزمة التعليم القائمة، حتى لاتستفحل المشكلة، وذلك ما نحاول تحقيقه من خلال طرح حلول لبعض القضايا التعليمية التى تفرض نفسها بقوة على الساحة التربوية.

الفصل الرابع

دور منظومة التعليم فى مقابلة تجليات عصر العولمة *

- تمهيد.
- منظومة التعليم.
- تجليات عصر العولمة.
- دور منظومة التعليم فى مقابلة تجليات عصر العولمة.
- خاتمة.

* مؤتمر مستقبل التعليم فى مصر بين الجهود الحكومية والخاصة - جامعة عين شمس: كلية البنات (قسم أصول التربية)، ٢٥-٢٦ يونيو ٢٠٠٢.

تمهيد:

إن الرؤية الواضحة لروح العصر، تستوجب تحقيق استجابة منطقية لمقتضيات التعامل الفاعل مع تحديات العولمة بافرازاتها المختلفة. أيضا، تتطلب تلك الرؤية استقراء واع لتجليات العولمة الحاضرة، والمتوقع حدوثها مستقبلا.

وعلى صعيد آخر، توجد علاقة وثيقة الصلة بين جميع جوانب الأمن القومى، سواء أكانت إقتصادية، أم عسكرية، أم سياسية، أم تنموية، أم إجتماعية، . .إلخ. وإذا خصصنا الحديث عن الجانب الاقتصادى للأمن القومى، فى عصر العولمة، وجدنا أن مصادر التهديد الداخلى للتماسك الاجتماعى والاستقرار السياسى، يهتزا بدرجة كبيرة فى حالة ثبات الدخل القومى، دون نمائه إذ يسهم هذا الثبات فى تقليص فرص العمل، وفى انخفاض مستويات المعيشة.

تاسيسًا على ما تقدم، يمكن القول بدرجة كبيرة من الثقة أن أساس الارتقاء بالقوة الشاملة للدولة، يهتز بشدة إذا فشلت محاولات الارتقاء بالقدرة الاقتصادية لتلك الدولة. والحقيقة أن الأمر لايقف عند حدود الجانب الاقتصادى فقط، إذ أن القدرة الذاتية لأى دولة تعتمد على قدراتها العلمية والتكنولوجية، بجانب قدراتها الثقافية والاجتماعية. وهذا وذاك يسهمان فى صناعة قوة عسكرية مؤثرة، تساعد على بناء تحالفات دولية بينها وبين الدول الاخرى على أساس تاكيد دورها الأقليمي الرائد والقائد، وعلى أساس تبادل المنافع وتوازن المصالح.

يبرز الحديث السابق الدور المهم للتعليم بالنسبة لما يجب تحقيقه من نمو ونماء فى شتى المجالات، بما يتوافق مع تجليات عصر العولمة. لذلك، يكون من الواجب تاكيد دور منظومة التعليم لتواكب التجليات التى أفرزتها العولمة، وذلك ما يسعى الحديث التالى لتحقيقه من خلال التصدى للموضوعات الثلاثة التالية:

* منظومة التعليم.
* تجليات عصر العولمة.
* دور منظومة التعليم فى مقابلة تجليات العولمة.

وفيما يلى عرض تفصيلى للموضوعات السابقة.

أولا: منظومة التعليم:

بادئ ذى بدء، يجدر الاشارة إلى أن النظام هو ذلك الكل المتكامل، المنظم والمركب الذى يربط بين عناصر وأجزاء (نظم فرعية) ذات خصائص بعينها، تتداخل مع بعضها البعض فى علاقات تبادلية ومستمرة التاثير، بالصورة التى لا يمكن بها عزل أحد هذه

العناصر أو الأجزاء عن بقيتها، مكونة فى مجموعها ذلك النظام الذى يوجه بدوره ضمن مجموعة من العلاقات التبادلية مع مجموعة أخرى من النظم المتصلة به، والتى تكون مجتمعة مايطلق عليه النظام الأشمل، أو النظام الأوسع.

معنى ذلك؛ أن النظام يتكون من أجزاء ذات علاقات، أو ذات تعاملات فيما بينها، لذا فإن دراسة أى جزء من أجزاء النظام لايمكن أن يتم بشكل مستقل عن بقية الأجزاء الأخرى.

فى ضوء ما تقدم، يتكون النظام الأشمل لمؤسسات المجتمع من مجموعة منظومات فرعية متداخلة فى علاقات تبادلية التأثير فيما بينها، وهى: منظومة الأمن القومى، ومنظومة التعليم، ومنظومة العلم والتكنولوچيا، ومنظومة الصناعة، ومنظومة الزراعة، ومنظومة التجارة، ...إلخ.

وإذا خصصنا الحديث على منظومة التعليم، نجد أنها تتكون من مجموعة من المنظومات الفرعية التالية:

(١) من حيث العامل البشرى :

تتكون المنظومة الفرعية للعامل البشرى من تفاعل وتداخل جميع الأفراد، ممن لهم علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالتعليم، من أية زاوية من الزوايا، كما فى الشكل التالى :

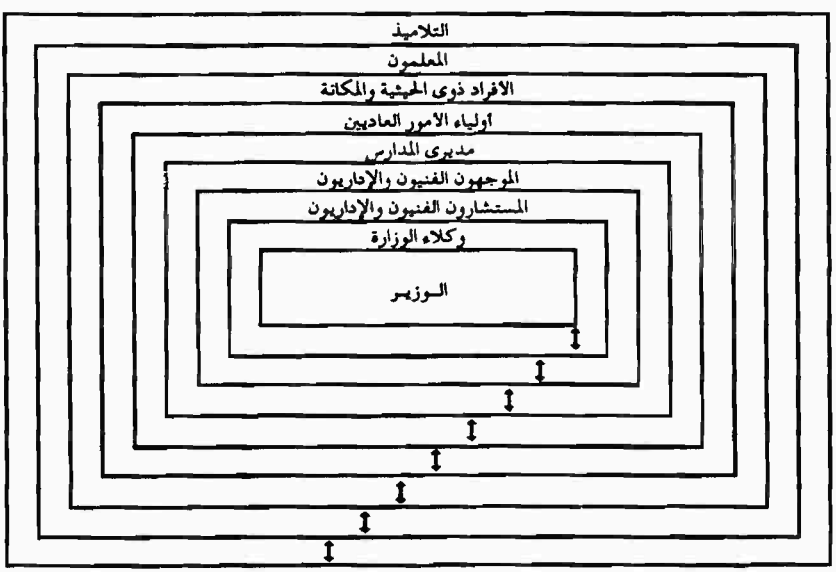

شكل (١)

منظومة التعليم الفرعية للعامل البشرى

وواضح مما تقدم أهمية التأكيد على التلميذ كناتج نهائى (مخرج) للعملية التعليمية، حيث يجب أن تبدأ العملية التعليمية بالتلميذ، وتنتهى به.

(٢) من حيث المبانى والتجهيزات :

تتكون المنظومة الفرعية للمبانى والتجهيزات من تفاعل وتداخل الثلاث منظومات الفرعية الجزئية التالية:

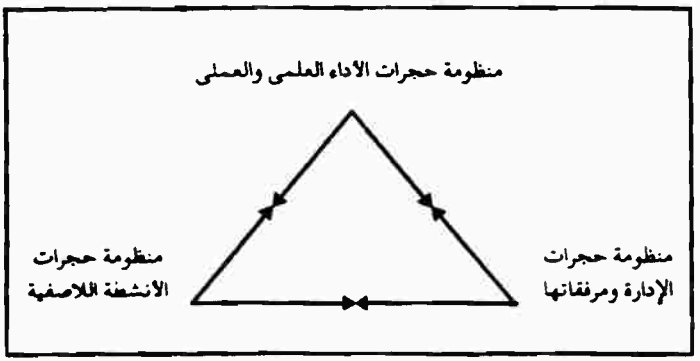

شكل (٢)

منظومة التعليم الفرعية للمبانى والتجهيزات

أما المنظومة الفرعية الجزئية لحجرات الأداء العلمى والعملى، فهى على النحو التالى:

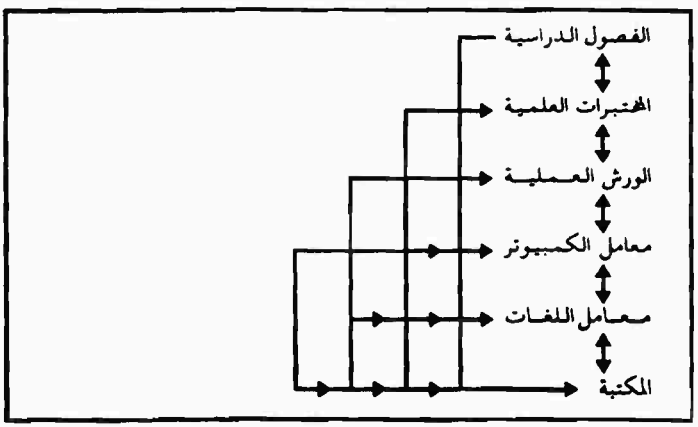

شكل (٢-١)

منظومة التعليم الفرعية الجزئية لحجرات الأداء العلمى والعملى

والمنظومة الفرعية الجزئية لحجرات الإدارة ومرفقاتها، فهى على النحو التالى :

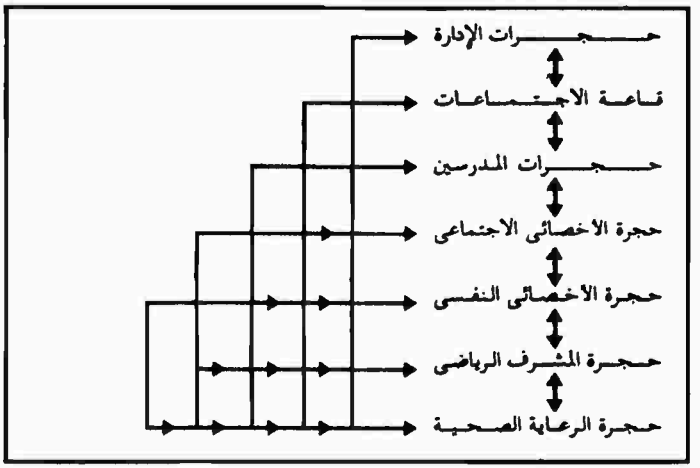

شكل (٢-٢)

منظومة التعليم الفرعية الجزئية لحجرات الإدارة ومرفقاتها

والمنظومة الفرعية الجزئية لحجرات وتجهيزات الأنشطة اللاصفية، فهى على النحو التالى :

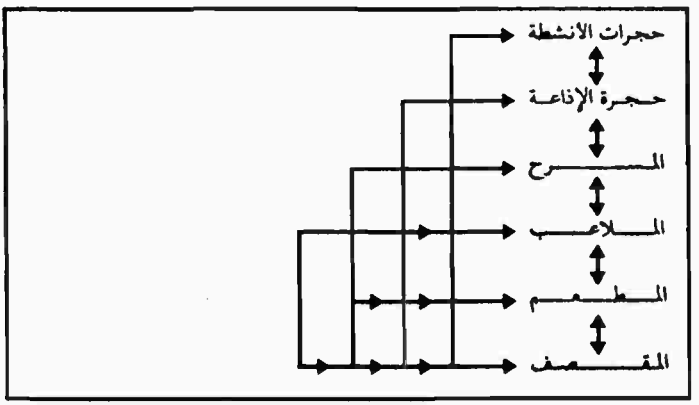

شكل (٢-٣)

منظومة التعليم الفرعية الجزئية لحجرات وتجهيزات الأنشطة اللاصفية

ويجدر التنويه إلى أن المنظومات الفرعية الجزئية الثلاثة السابقة (حجرات الأداء العلمى والعملى- حجرات الإدارة- حجرات وتجهيزات الأنشطة اللاصفية) تم تحديدها في صورتها المثالية، إذ لا تتوفر فى غالبية المدارس عديد من العناصر آنفة الذكر.

(٣) من حيث القواعد المنظمة للتعليم:

تتكون المنظومة الفرعية للقواعد المنظمة للتعليم من تفاعل وتداخل قوانين وقرارات التعليم التالية:

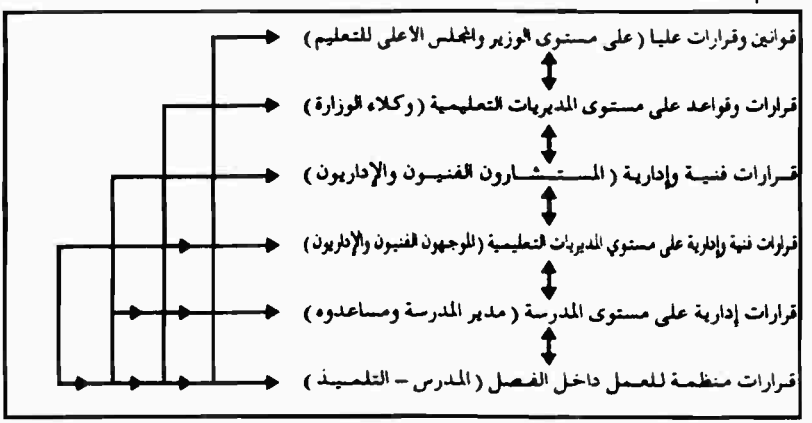

شكل (٣) : منظومة التعليم الفرعية للقواعد المنظمة للتعليم

ويشترط فى جميع المستويات السابقة أخذ أى قرار على أساس ديمقراطى، حيث يتم مشاركة جميع أطراف العملية التعليمية.

(٤) من حيث المناخ التعليمي :

يمكن أن تكون المنظومة الفرعية للمناخ التعليمي على النحو التالى:

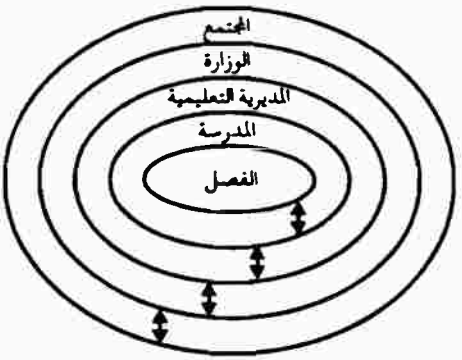

شكل (٤) منظومة التعليم الفرعية للمناخ التعليمى

وعلى الرغم من أن المدرسة قد تقود حركة التغير فى المجتمع، وخاصة في الدول الديمقراطية، فإن المناخ التعليمي يتأثر بصورة مباشرة بالمناخ السائد فى المجتمع، وذلك يتوافق مع كون المدرسة إحدى مؤسسات المجتمع.

وجدير بالذكر أن مستويات المناخ التعليمي آنفة الذكر، يمكن أن تمثل مستويات نظام التعليم قبل الجامعى، بعد مراعاة المرحلة التى تخدمها المدرسة (إبتدائى- إعدادى- ثانوى: عام أو فنى).

(٥) من حيث أدوات التعليم والتعلم:

تتكون المنظومة الفرعية لأدوات التعليم والتعلم من تفاعل وتداخل العناصر التالية:

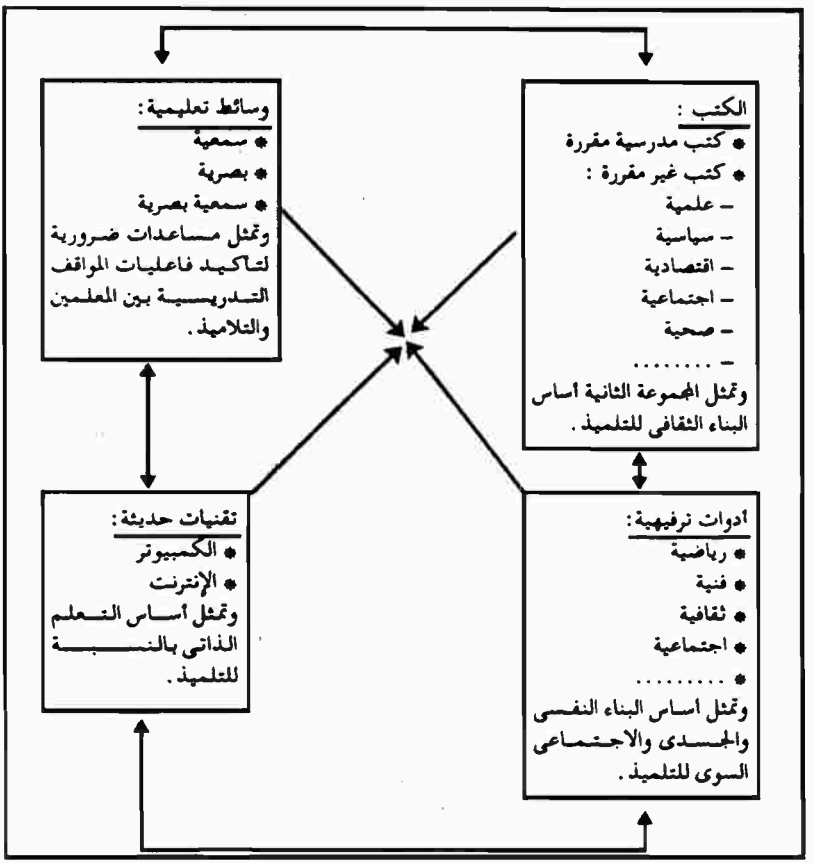

شكل (٥)

منظومة التعليم الفرعية لأدوات التعليم والتعلم

وواضح مما سبق، إن أدوات التعليم والتعلم تتعدى بكثير تلك الأدوات التى يمكن إستخدامها فى المواقف التدريسية داخل الفصول.

(٦) من حيث مناهج التعليم :

تتمثل عناصر المنظومة الفرعية لمناهج التعليم، فى الآتى :

* أهداف المنهج.
* محتوى المنهج (المقررات الدراسية، ومفاهيمها، وطرق التفكير فيها).
* أساليب ووسائل تنظيم المحتوى فى صورة أنشطة وخبرات تعليمية تعلمية يمكن تطبيقها.
* التقويم (التقويم أثناء التنفيذ– التقويم النهائى).

وعلى أساس التداخل والتأثير التبادلى للعناصر السابقة، تكون المنظومة الفرعية لمناهج التعليم، على النحو السابق:

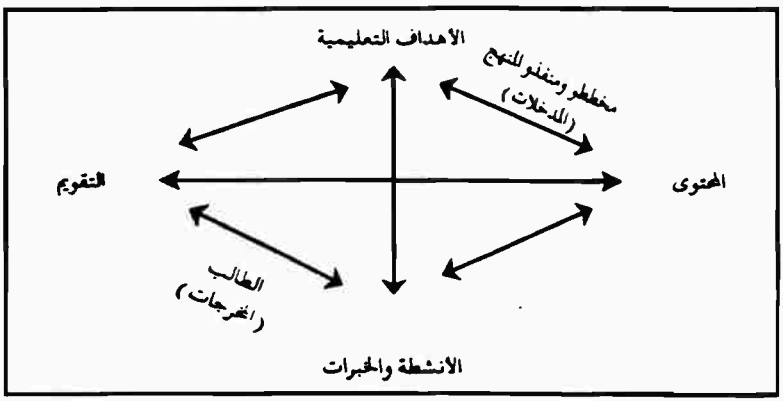

شكل (٦)

منظومة التعليم الفرعية لمناهج التعليم

وواضح مما تقدم ان أهم مخرجات المنهج هو الطالب، وبذلك يكون توجيه السلوك الإنسانى هو الأهم بالنسبة للعملية التعليمية.

فى ضوء ما جاء في الحديث السابق الذى تمثله الأشكال الستة السابقة، يمكن تحديد منظومة التعليم فى صورتها الشاملة على النحو التالى:

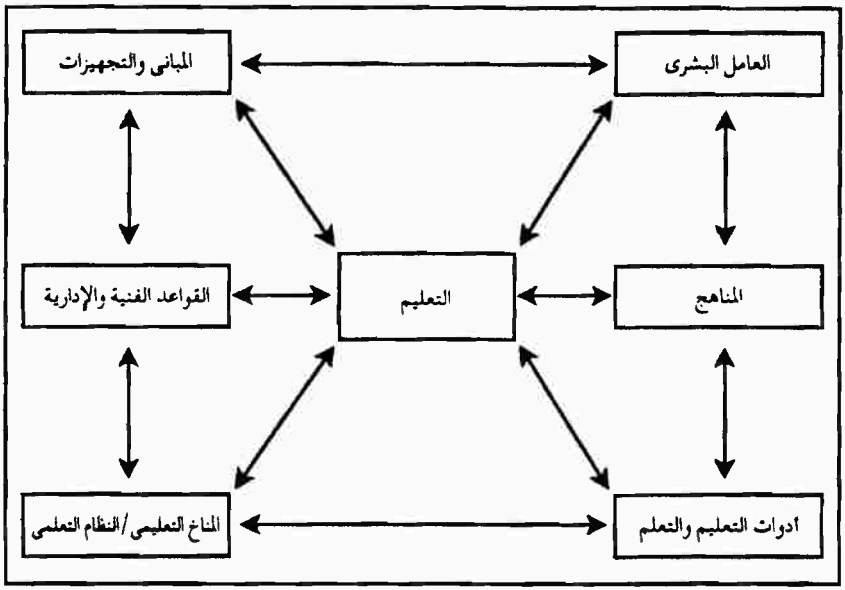

شكل (٧)

منظومة التعليم الأساسية

وتقتضى الأمانة العلمية الإشارة إلى أن منظومة التعليم فى صورتها الشاملة، تتضمن أكثر من المنظومات الفرعية الستة التى سبق تحديدها، إذ إن كل شىء وأى شىء يمكن أن تندرج تحت مظلة التعليم. وعليه، فإن التحديد السابق يهدف إبراز الأساسيات ذات العلاقة المباشرة بالعولمة وتجلياتها.

أيضًا، إن ذكر كل شىء يمكن أن تتضمنه منظومة التعليم، قد يجعل الموضوع واسعًا بدرجة يصعب معها تحديد شتى جوانبه، فيما يختص بإبراز الخطوط العريضة لدور منظومة التعليم فى مقابلة تجليات عصر العولمة.

والسؤال :

لقد حددنا أبعاد منظومة التعليم بصورتها السابقة، فهل يمكن لتلك المنظومة مواكبة تجليات عصر العولمة؟!

الإجابة الطبيعية عن السؤال السابق، هى النفي بتحفظ، على أساس أن منظومة التعليم فى صورتها الواقعية الفعلية لا تحقق أدوارها، دون النظر ما إذا كان ذلك فى ظل تجليات عصر العولمة، أم لا، لوجود ثقوب فى بنيتها. والدليل على ذلك أنه إذا عدنا إلى المنظومات الفرعية لمنظومة التعليم، نجد الآتى:

* فيما يخص العامل البشرى كما جاء فى شكل (١)، من الصعب تحقيق التفاعل بين أفراد منظومة التعليم الفرعية للعامل البشرى، بسبب القواعد والأساليب الروتينية التى تحول دون الانفتاح بين أفراد المجتمع التعليمى بعضهم البعض. حقيقة، توجد بعض المحاولات الجادة، التى يمكن أن تبشر بالخير بالنسبة لهذا الشأن، ولكنها تظل محددة فقط فى صورتها الرسمية (المؤتمرات – اللجان).

* فيما يخص المباني والتجهيزات كما جاء فى شكل (٢)، تعاني مدارسنا من تكدس التلاميذ فى الفصول، وندرة المختبرات العلمية، وسوء حالة الورش العملية، وعدم وجود معامل للغات، والفقر الشديد فى المراجع والكتب الحديثة (العربية والأجنبية على السواء) فى المكتبات. أيضا، بسبب الكثافة العالية لعدد التلاميذ، تحولت حجرات المدرسين والاخصائيين إلى حجرات للدراسة. وأخيراً، تعانى أغلب المدارس من عدم وجود حجرات للأنشطة الثقافية والاجتماعية، وعدم وجود ملاعب أو مطاعم أو مقاصف.

* فيما يخص القواعد المنظمة للتعليم كما جاء في شكل (٣)، فإنها تبدو وكأنها ديمقراطية، وفى حقيقتها تتسم بالشمولية الخالصة، حيث تصدر تلك القواعد على أساس مركزى، وبطريقة فوقية، دون أن تترك للإدارات التعليمية والمدارس مسئولية تسيير العمل، وفقاً لظروفها الخاصة.

* فيما يخص المناخ التعليمى كما جاء فى شكل (٤)، فهو يعتمد على بنية تركيبية فوقية تبدأ بالفصل الدراسى وتنتهى بالمجتمع، وإن كان هناك شك بدرجة ما من وجود قنوات إتصال بين الإدارات المختلفة فى وزارة التربية والتعليم والمؤسسات المناظرة فى المجتمع.

* فيما يخص أدوات التعليم والتعلم كما جاء فى شكل (٥)، يعانى التعليم قبل الجامعى، فى جميع مراحله، من النقص الشديد فى الأدوات التى تسهم فى تحقيق البناء الثقافى للتلميذ، وفى تأكيد فاعليات المواقف التدريسية بين المعلمين والتلاميذ، وفى مساعدة التلاميذ على التعلم الذاتى، وفى ممارسة التلاميذ للأنشطة الترفيهية.

* فيما يخص مناهج التعليم كما جاء فى شكل (٦)، فهى توجه جل إهتمامها إلى الناحية الذهنية العقلية للطالب فقط، دون مراعاة لبقية جوانب نموه الأخرى (الميول– الاتجاهات– الدوافع– الانفعالات– . إلخ).

وإذا أضفنا إلى ما تقدم، تجليات عصر العولمة، التى يمكن أن يكون لها –فى حد ذاتها– بعض الجوانب السلبية، كما سيظهر من الحديث التالى، يتأكد أن النفى القاطع هو الإجابة الطبيعية عن السؤال السابق، بمعنى؛ لايمكن لمنظومة التعليم بوضعها الحالى مواكبة ومقابلة تجليات عصر العولمة.

ثانياً : تجليات عصر العولمة :

بادئ ذى بدء، يجدر الإشارة إلى المحاولة الجادة التى تمت لتصميم منهج تربوى عالمى، يهدف :

* مقابلة التنوع الثقافى، بدلا من محاولة هيمنة وسيطرة ثقافة واحدة.
* الحوار بين الحضارات، بدلا من محاولات الإدعاء بأن الصدام بين الحضارات لابد من حدوثه.

وقد ظهرت المحاولة السابقة فى كتاب عنوانه : « المنهج التربوى العالمى.. أسس تصميم منهج تربوى فى ضوء التنوع الثقافى ». ويبرز هذا الكتاب شيئًا غريبًا وخطيرًا آنيا، إذ إن غالبية تعريفات العولمة كما جاءت فى الأدبيات العربية، ترفض العولمة، لأنها تعمل على تشويه الثقافة العربية والهوية القومية لارتباطها المباشر بالأمركة.

ويدل ما تقدم على خطأ كبير، لأنه حتى بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، من العبث الظن بأن الساحة قد فرغت تمامًا أمام الولايات المتحدة الأمريكية، التى فشلت تمامًا فى مواجهة الأرهاب دون مساعدة المجتمع الدولى لها. ناهيك عن أن الموقف العالمى حتى الآن لم تتحدد أبعاده تمامًا، ولم تستقر أوضاعه بعد، وخاصة أن كل دولة (أو مجموعة من الدول)، تبحث عن صياغة مناسبة لسياستها، وعن موقعها فى العلاقات الدولية.

وبعامة، فإن موضوع العولمة يقع فى نطاق الموضوعات التى تتسم بالجدل الكبير، ما بين مؤيد ومعارض، وخاصة أن عصر العولمة يجب أن يعبر عن سلوك الدول معًا على الكرة الأرضية، حيث تسود الاتجاهات الأقوى وفقًا لمصدر سلطتها، كما يتاثر هذا الموضوع بانحيازات كل من يتطرق لدراسة تجلياته، وفقًا لإجتهاده وفلسفته وميوله وانتمائه وإيديولوجيته وعقائده وسياسته.

وبعامة، علينا إجتياز حدود الدائرة المغلقة التى يخلقها الجدل المثار حول العولمة، لأن كل الأحداث من حولنا تؤكد أننا نعيش بالفعل فى عصر العولمة، ولا يمكن لدولة ما أن تنعزل عن المجتمع العالمى، حتى وإن أرادت ذلك.

إذًا، طالما الأمر كذلك، علينا أن نتساءل :

ما تجليات عصر العولمة ذات التأثير المباشر فى منظومة التعليم؟

وحيث إن إجابة السؤال السابق واسعة وعريضة آنيا، فإننا نقدم مختصراً يمكن ان يمثل بعض المؤشرات المهمة التى يمكن أن تساعد الباحثين -بعمق وكثافة- عن الإجابة المنشودة. وهذه المؤشرات، على النحو التالى :

(١) الهوية الثقافية :

هناك من يدعى بأن تشويه الهوية الثقافية، وصهرها فى بوتقة الثقافية العالمية، يمثل أحد التوجهات الخطيرة لعصر العولمة.

والحقيقة إن الادعاء بأن هويتنا الثقافية قد يصيبها العطب، أو تطعن فى مقتل، فى عصر العولمة، ليس له أساس من الصدق والصحة، طالما لا تعانى هويتنا الثقافية أساساً من هدر فكرى، وطالما غير مصابة أصلا بالاهتراء والوهن والضعف الداخلى.

بمعنى؛ تظل هويتنا الثقافية قوية فتية فاعلة مؤثرة، ولا تستطيع أية مؤثرات خارجية أن تخترقها، طالما يمتلك أصحابها العقول القوية القادرة الواعدة، التى تستطيع أن تحتك بالثقافات الأخرى، وتنفتح عليها، لتنهل من منابعها الصافية، ولاتقترب من مياهها العكرة.

(٢) تحقيق السلام :

يقولون أن تجليات عصر العولمة قد أكدت أن الإنسان لن ينعم أبداً بالأمن والأمان والطمأنينة والاستقرار، سواء أكان ذلك على مستوى عمله، أم على مستوى التعامل مع الآخرين فى المنزل والشارع والمدينة، أم على مستوى ظروف المجتمع الكبير الذى يعيش فيه بسبب وجود الجماعات المهووسة والمتطرفة، أم على مستوى الوطن ككل طالما توجد قوى خارجية أو داخلية لديها القدرة أن تأتى على الأخضر واليابس معاً.

والحقيقة، إن هذا الموضوع يجب أن لايزعجنا كثيراً، لأن معضلة تحقيق السلام ظهرت منذ أن خلق الله الإنسان على الأرض، ناهيك أن الدعوات للسلام باتت الآن مؤثرة وفعالة، بعد أن إكتشف الإنسان أن الحروب لا تحل المشكلات. ونتيجة لظهور دعوات السلام، ظهرت ثقافة السلام، التى تتبنى إمكانية تحقيق السلام، وفض المنازعات والخلافات، عندما يحدد الإنسان ما له وما عليه، بدقة وموضوعية.

(٣) الثقافة والتنمية تحت مظلة الديمقراطية :

هناك من يزعم بأن الديمقراطية كأحد تجليات عصر العولمة، يتم إستخدامها بطريقة سيئة وفجة، وأحياناً قبيحة. فأحياناً، يتم الإدعاء بأن ما يحدث يقع تحت مظلة الديمقراطية، بينما يشير الواقع العملي الفعلى إلى وجود محاولات مقصودة مغرضة تهدف تهميش الثقافة القومية، ووأد الخطط التنموية فى مهدها.

ولكن، مهما كانت المحاولات الفاسدة تحت ستار الديمقراطية، فإن الديمقراطية ذاتها هى الخطوة الأولى فى طريق إكتشاف الفساد، وهى الوسيلة الفاعلة لتصحيح الأوضاع.

بمعنى؛ حتى إن أراد بعض الأفراد (أو الدول) إستخدام الديمقراطية لتحقيق مصالح خاصة، لاتتوافق مع المصلحة العامة، فسرعان ما يتم إكتشاف الخطأ، سواء أكان ذلك على مستوى مرحلة التخطيط، أم مرحلة التنفيذ، أم مرحلة الحساب الختامى.

(٤) القضايا القومية من منظور الثنائية : الثقافة / الفكر :

من منطلق ضرورة معالجة القضايا القومية على أساس مقتضيات ومتطلبات ثنائية: الثقافة / الفكر، ثم تحليل تأثير المتغيرات الزمانية والمكانية على هذه القضايا، تباينت التيارات التى تدعو إلى تغيير الواقع بدرجة كبيرة، حيث ظهر:

* تيار ينادى بالحرية السياسية، ويدعو إلى ضرورة الانفلات من قبضة السلطة، التى توحشت وابتلعت المجتمع المدنى.
* تيار ينادى بالعدالة الاجتماعية، ويدعو إلى مكافحة الاستغلال الطبقى.
* تيار ينادى بالأصالة الحضارية، ويدعو إلى الرجوع الشكلى إلى التراث، والاسترشاد بما جاء فيه من قيم.

ونتيجة لدفاع أصحاب كل تيار من التيارات الثلاثة السابقة بإستماتة عن وجهة نظرهم، أصبح الإنسان محصوراً ومحاصراً بأفكار وتجليات معاصرة صعبة، بحيث أصبح من الصعب عليه أن يحدد وجهة نظره تجاه القضايا القومية تحديداً دقيقًا.

من هنا، تظهر أهمية دور المثقفين، حيث ينبغى على كل مثقف – مهما كانت توجهاته – أن يقتصر حياته – بل قل يختصر حياته – على شخصه فقط، وإنما ينبغى عليه أن يحرص على قضايا العائلة والمجتمع والأجيال القادمة، إذ إن حياته تكتسب معناها الحقيقى بقدر تضحيته من أجل الغير، وبقدر إخضاع سلوكه لمصالح ومقتضيات تتجاوز شخصه فقط.

(٥) سيادة الدولة :

من أهم تجليات عصر العولمة فى وقتنا الحالى، أن تستند سيادة الدولة إلى «احتكار شرعى لوسائل العنف فى المجتمع». وفى العالم الجديد الآخذ فى التشكيل، تمتد سيادة الدولة إلى مجتمع العالم بكليته هذه المرة، كى يكون لصاحبها «الحق» فى ممارسة القوة التى تقف فوق كل القوى.

ونتيجة لما تقدم، قد ينبهر الفرد فى الدول النامية بالحدث أو التغير الجديد الذى يتحقق فى ظل سيادة الدولة فى المجتمعات الغربية المتقدمة. ورغم ذلك، يمكن لهذا الفرد أن يلتقط أنفاسه بسرعة، إذ بحدسه وحسه وملكاته الفطرية، يستطيع استقراء الواقع الصحيح والمفيد. وبتحقيق ذلك، يتمالك إتزانه المعنوى، فيهمل ما ينبغى إهماله، ويستفيد مما يجب أن يستفيد منه.

(٦) التطرف والإرهاب :

من التجليات الخطيرة لعصر العولمة، شيوع ظاهرة التطرف والإرهاب، فى جميع دول العالم بلا استثناء. لذلك، نجد صوراً عديدة للتطرف والإرهاب (دينى- أيديولوجى- عرقى- عنصرى- مذهبى- سياسى- فكرى- . إلخ)، وذلك يمثل خللا بالأمن القومى فى عديد من الدول: الغنية والفقيرة، على حد سواء.

ومما يجدر الإشارة إليه، إننا نضع التطرف والإرهاب فى سلة واحدة، لأنهما يتلازمان ولايتفارقان. فالتطرف مرتبط بالفكر، والإرهاب مرتبط بالعمل، الذى يعكس هذا الفكر إلي واقع ملموس واجراءات تنفيذية.

ولعل شيوع ظاهرة التطرف والإرهاب فى كل مكان، يعود - بالدرجة الأولى - إلى تلاشى ظروف الزمان والمكان فى عصر العولمة. فالفرد يستطيع أن يتصل بالآخرين فى أى مكان، وفى الوقت المناسب له، باستخدام وسائل الاتصال فائقة السرعة (إنترنت). وعليه، فإن التدفق المعلوماتى، إذا لم يتم السيطرة عليه عن طريق الأساليب الامنية المناسبة، يمكن أن يكون من الوسائل الهدامة والخطيرة في تصدير الأفكار التي تدعو إلى التطرف والإرهاب.

خلاصة القول: على الرغم من أن تجليات عصر العولمة، التى قد تبدو بعض جوانبها سلبية فى تأثيراتها، وخاصة بالنسبة لمنظومة التعليم، فإنها تبدو ضرورة مهمة، بعد أن ثبت فشل الأفكار الخيالية (الطوباوية) فى التعامل مع الواقع المعاش، وبعد أن تحقق حدوث التحديث والنمو الاقتصادى كنتيجة حتمية للعولمة، وبعد أن تأكد صعوبة تحقيق التغريب الثقافى فى وجود عقول قوية قادرة على التمسك بالثقافة القومية وعلى الانفتاح على الثقافات العالمية الأخرى، فى الوقت نفسه. وعلى الرغم من التأثيرات السلبية لتجليات عصر العولمة، يمكن لمنظومة التعليم (بعد تصحيح أوضاعها بالنسبة للثقوب الموجودة فى بنيتها، التى سبق الإشارة إليها) أن يكون دورها مهماً فى مقابلة تلك السلبيات، وفى تأكيد إيجابيات تجليات عصر العولمة، فى الوقت نفسه.

ثالثاً: دور منظومة التعليم فى مقابلة تجليات عصر العولمة :

سبق تحديد تجليات عصر العولمة فى الآتى :

- الهوية الثقافية.
- الثقافة والتنمية تحت مظلة الديمقراطية.
- القضايا القومية من منظور الثنائية: الثقافة / الفكر.
- سيادة الدولة.
- التطرف والإرهاب.

وأيا كانت التجليات السابقة إيجابية أم سلبية، يكون من المهم طرح السؤال التالى:

ما دور منظومة التعليم فى مقابلة تجليات عصر العولمة؟!

بإختصار شديد، يمكن أن تكون إجابة السؤال السابق، على النحو التالى:

يواجه التعليم أزمة حقيقية فى ضوء تجليات عصر العولمة، وقد يصل الأمر إلى حد الكارثة. ومن أهم ملامح هذه الأزمة (أو الكارثة) نذكر الآتى:

* الانفصال الكبير بين التعليم وسوق العمل، إذ لا تشارك المؤسسات التعليمية فى حل المشكلات العلمية والعملية التى يواجهها المجتمع.
* الإهتمام بالكم دون النظر بعين الإعتبار إلى الكيف.
* عدم تكافؤ فرص التعليم، بسبب ظهور نخبة تتاح لها فرصة التعليم باستخدام الكمبيوتر، وغالبية محرومة من هذا الحق.
* تعدد مسارات التعليم، ما بين مدارس حكومية مجانية ومدارس خاصة بمصروفات، وما بين تعليم باللغة العربية وتعليم باللغات الأجنبية.
* العزوف عن مداومة التعليم، إذ يكتفى غالبية المتعلمين بالشهادات التى يحصلون عليها، رغم أن التعليم المستمر يتيح لهم فرصة التعلم مدى الحياة.
* سلبية المعلمين، بسبب إرتقاء تكنولوچيا التعليم، دون إعدادهم لمواجهة مستحدثات التربية، ودون تأمين مكانتهم وحوافزهم الشخصية.
* عدم فاعلية البحث العلمى، إذ يقتصر إهتمام أساتذة الجامعات بالعملية التدريسية، دون إهتمام يذكر بمهامهم البحثية، خاصة بعد أن زادت كلفة البحوث العلمية.
* تدنى مستوى الخريجين، بسبب الكثافة العالية لأعداد الملتحقين أو المقبلين على التعليم، وذلك يعنى تسليم أقدارنا لأجيال غير مهيأة، وغير مجهزة للإنتقال إلى مجتمع المعلومات.
* فساد الذوق العام فى المسائل المرتبطة بالأدب والشعر والفن والرواية والقصة.
* الهادر التعليمى الضخم، بسبب البطالة السافرة والمقنعة، وقتل قدرات الخريجين وعدم تنميتها، والعزوف عن العمل المهنى، والتسرب خلال سنوات الدراسة، والأمية المزدوجة: الأبجدية والكمبيوترية.
* وجود قوى رجعية تعمل جاهدة على تأكيد الأفكار المخاصمة للعصر والحضارة والمدنية.
* فقد الثقة فى المؤسسات التعليمية، لعدم قيام الكوادر التى تعمل فيها، بدورها القيادى المرجو والمأمول منها.
* تخلف المناهج وطرق التدريس، إذ أصبحت المناهج لاتناسب العصر، لأنها تضخم من قيمة المادة العلمية فقط، دون الإهتمام بجوانب أخرى لاتقل أهميتها عن المادة العلمية،

كما أن طرق التدريس تعتمد على الحفظ والتلقين وحشو المعلومات فى رؤوس التلاميذ، دون الإهتمام بالأساليب التى تثير الدافعية والتفكير.

* ضعف الإدارة التعليمية، بسبب الأخذ بالأساليب البيروقراطية العتيقة، ودون الإعتماد على الطرق الحديثة التى تعتمد علي التفاعل الإدارى لجميع الأطراف.

* الإغراق فى المحلية دون الإنفتاح على الكونية أو العالمية التى تجعل المتعلم قادراً على معرفة العالم الخارجى ثم التعامل معه.

وحتى يمكن مقابلة السلبيات آنفة الذكر، ينبغى أن تواجه منظومة التعليم عصر العولمة، بروح عصر العولمة ذاته. ويمكن تحقيق ذلك، عن طريق:

(١) أن لا يكون هدف التعليم هو تحصيل المعرفة فقط، وإنما لإستخدامها فى حل المشكلات، ولتوظيفها لوضع تصور للمعضلات المستقبلية، مع مراعاة أهمية الوصول إلى منابع ومصادر المعرفة نفسها.

(٢) أن يهدف التعليم إكساب المرونة فى أخذ القرارات، وفى إكساب التفكير السليم فى أقصر وقت ممكن.

(٣) أن يهدف التعليم إظهار قابلية التنقل Mobility : **الجغرافى** لتغير أماكن العمل والمعيشة، **والإجتماعى** لمقابلة الحراك الإجتماعى المتوقع حدوثه، **والفكرى** للتعامل مع التدفق المعلوماتى وسرعة تغير المفاهيم، إذ ليس للإنسان الآن وطن بعينه يعيش فيه، أو جماعة بعينها ينتمى إليها، وإنما بات العالم كله – بكل جنسياته وأيديولوجياته ولغاته – مفتوحا أمامه، يستطيع أن يتجول فيه كيفما شاء.

(٤) أن يهتم التعليم بالنواحى الوجدانية والأخلاقية للمتعلم، وإكسابه القدرة على تحقيق ذاته، شأن إهتمامه بحاجات المجتمع ومطالب الفرد الشخصية.

(٥) أن يعمل التعليم علي تنمية عادة التفكير الإيجابى، وقبول **المخاطرة المحسوبة** وتعميق مفهوم المشاركة، والتعامل مع السلطة من منطلق ديمقراطى، ويحدد بدقة حدود العلاقة بينهما، من خلال حقوق وواجبات كل طرف.

(٦) أن يتصدى التعليم للروح السلبية أو الإنهزامية، إذا وجدت عند بعض المتعلمين، وأن يعرفهم كيفية تفعيل عمل آليات تفكيرهم، فتكون إنجازاتهم إيجابية، كما يدركون حقيقة الظواهر، ويتمثلون المعارف الصعبة والمفاهيم المعقدة.

(٧) أن يبشر التعليم بأهمية خلق عالم إنسانى واحد، بحيث يكون متماسكًا ومتجانسًا ومتشابهًا، ومعتزاً ببناء حضارة إنسانية واحدة، وبذا يكتسب المتعلم الاتجاهات والتوجهات التى تساعده على التواصل والتلاحم مع الآخرين، والتى تجعله يقبل الآخر، ولايتعصب لبنى جنسه المحليين فقط.

(٨) أن يهيئ التعليم المتعلم ليخلق عمله بنفسه، وليعرف كيف يقضى أوقات فراغه، فيما يفيده، وخاصة أن دلالات المستقبل القريب تشير إلى ندرة العمل فى عصر العولمة.

(٩) أن يساعد التعليم المتعلم فى التفكير فى أساليب التفكير التى يمارسها، ليتمكن للوصول إلى **ما وراء المعرفة**، بالنسبة للمشكلات العملية والعلمية والوجدانية التى يقابلها فى دراسته أو فى حياته المعيشية، والتى تتطلب حلا موضوعيًا وعقلانيًا لها.

أخيرًا، تتبقي نقطة مهمة بالنسبة لدور منظومة التعليم فى مقابلة تجليات عصر العولمة، وتتمثل فى محاولة تحديد إجابة دقيقة **للسؤال** التالى:

ماذا عن الأهداف التربوية التى ينبغى أخذها في الاعتبار عند تصميم **منظومة المناهج المستقبلية**، بما يتوافق مع التحديات التى يفرضها عصر العولمة على التعليم والتعلم آنيًا؟

تتمثل أهم الأهداف التربوية، التى يجب مراعاتها فى تصميم منظومة المناهج المستقبلية، فى ضوء تحديات عصر العولمة، فى الآتى:

(١) ينبغى أن تتيح مناهج المستقبل الفرص المناسبة أمام التلاميذ للإدراك، والتحليل، والتفسير، وإكتشاف مدى واسعًا جديدًا للمعانى، إذ يتطلب التعامل مع العالم الجديد، تفسيرات وتعريفات معاصرة، تتوافق مع المعانى التى يكشفها العلم الحديث.

(٢) ينبغى أن تساعد مناهج المستقبل التلاميذ فى إعادة تحديد وإكتشاف أنفسهم، حتى يمكنهم التكيف مع الظروف والأحداث الجديدة التى تتسم بسرعة التغيير، وبخاصة فى المجال الاقتصادى الذي يشهد تقلبات إقتصادية متتالية، أفرزت وظائف جديدة تتطلب كوادر ومدربين لديهم المهارات التى تحتاج إليها تلك الوظائف.

(٣) ينبغى أن تسهم مناهج المستقبل فى دفع التلاميذ إلى توجيه أسئلة ذات مغزى، وفى إتاحة الفرصة ليمارس التلاميذ الإرشاد الذاتى لأنفسهم، ولبعضهم البعض.

(٤) ينبغى أن لا تتمركز مناهج المستقبل حول المعانى والمعارف فقط، بل يجب أن يراعى فى بنائها المسائل الجدلية والأفكار المتصارعة، التى تؤدى إلى مناقشات، تتسم بالمغزى والبناء معًا.

(٥) ينبغى أن تتضمن مناهج المستقبل المشكلات الإجتماعية الشائعة، التى يعانى منها عالم الواقع، وبذا يتحقق التعليم المناسب لحياة إنسانية صحيحة ومنتجة.

(٦) ينبغى أن تركز مناهج المستقبل، على الأساليب التى تسهم فى إكساب التلاميذ: التفكير الناقد، ومهارات التعاون، والمعاني السامية التى تجعل التعليم أكثر ملاءمة وإنتاجية.

(٧) ينبغى أن تحتوى الأنشطة فى مناهج المستقبل على ما يساعد التلاميذ لتطبيق المعلومات بفاعلية فى ضوء خبراتهم المتاحة، وأن تحتوي القصص والمفاهيم الجوهرية، التى تنمى الاتجاهات نحو حب الاستطلاع والتعجب، لأهمية ذلك فى تحقيق التعلم الجيد.

(٨) ينبغي أن تشير مناهج المستقبل إلى أن حتمية التدريس للتلاميذ، يجب أن تبقى محوراً للتطلعات الإجتماعية والتعليمية لهم، وبخاصة أن التلاميذ يتعلمون دروساً عن الحياة ذاتها، مما يتعلمونه داخل المدرسة، ومما يشاهدونه من حولهم فى المجتمع.

(٩) ينبغى أن تضع مناهج المستقبل نموذجًا للعالم الذى تريد أن تخلقه أو تحققه من خلال عملية التعليم والتعلم.

(١٠) ينبغى أن تبرز مناهج المستقبل العلاقة الحتمية الإيجابية بين التعليم والثقافة، وذلك لأن الثقافة على الرغم من تصورها كنظام مترابط من الاتجاهات والقيم والتعاليم، التى تؤثر فى سلوكيات الأفراد، فإنها تعنى التعلم ذاته الذى يستطيع أن يسهم بإيجابية فى الجوانب المختلفة للثقافة ذاتها.

(١١) ينبغى أن تعطى مناهج المستقبل إحترامًا متوازنًا للثقافات المتباعدة وتوحيداً للأفكار الديمقراطية، وإجلالا للحقوق الإنسانية المتسامحة، وتقديراً للمسئوليات الشخصية والإجتماعية.

(١٢) ينبغى أن تقاوم مناهج المستقبل الاتجاهات الاجتماعية المتخلفة أو الدونية، التى تضعف الأخلاقيات، وتشكك فى الروحانيات، وتحول الفردية إلى إيثار وطمع، وتقتل فى الإنسان روح التحدى، وتقلل طموحه، وتشل تفكيره التقدمى.

(١٣) ينبغى أن تراعى مناهج المستقبل أهمية الفهم والبناء على أنشطة التعلم فى عملية التدريس، بالتركيز على التعليل والمشاركة والتواصل.

(١٤) ينبغى أن تكسب مناهج المستقبل الفكر متعدد الاتجاهات، وبخاصة أن التلاميذ يحتاجون إلي مرونة عقلية ليعيشوا فى عالم التناقضات، شديد التعقيد وسريع التغير فى شتى ظواهره ومظاهره.

(١٥) ينبغى أن تشجع مناهج المستقبل على حل المشكلات من خلال مسارات تفكيرية متعددة، وبذا تحمى المتعلم من التفكير الأحادى، أو التفكير الساذج البسيط، كما تجعله يتحمل مسئولية أداء الأعمال المطلوبة منه بنفسه.

(١٦) ينبغى أن تكون مناهج المستقبل تفاعلية متمركزة حول المعنى، ليكتسب التلاميذ مهارات التفكير الضرورية لمقابلة متغيرات بدايات القرن الحادى والعشرين، وحتى

تتلاءم الممارسة التعليمية مع طبيعة العقل النامى، مما يؤدى إلى أفضل إستغلال للطاقات الكامنة عند التلاميذ.

(١٧) ينبغى أن تهتم مناهج المستقبل بخلق ثقافة تعلم، وبتوفير بيئة تعلم تعمل على ترقية الفهم وتحقيق المرونة العقلية، لإرتباطهما المباشر بالإنجاز والأداء، اللذين تقوم عليهما الحياة الاجتماعية المسئولة عن المدرسة ذاتها.

(١٨) ينبغى أن تأخذ مناهج المستقبل فى حساباتها أن التدريس من العوامل المهمة فى إحداث التغير الناجح، لذا ينبغى النظر إلى التدريس كعلم وفن آنيا، يسهم فى تحقيق حصاد وافر من ثقافة التعلم، التى تسهم بدورها فى إكساب التفكير التأملى الحقيقى، وفى تحقيق إحتمالات واعدة للعمل.

(١٩) ينبغى أن تشجع مناهج المستقبل المعلمين الأكفاء، الذين يدفعون العملية التعليمية إلى المزيد من التفكير المؤثر وتقدم العلم، والذين يستطيعون إحداث فروق حقيقية فى مقابلة التلاميذ لمتغيرات المستقبل، عندما يتحملون مسئولية تعليمهم، والذين يقبلون بأنفسهم للترحيب بالمستقبل.

(٢٠) ينبغى أن تساعد مناهج المستقبل التلاميذ على النقد، والتحليل، والتفسير، وإكتشاف المعانى الجديدة والحلول المبتكرة للمشكلات، وأن تساعدهم على تعلم كيفية توجيه الأسئلة ذات المغزى، وكيفية التعبير عن الأفكار الخاصة، والقدرة على التخطيط المستقبلى.

(٢١) ينبغى أن يحتل التفكير مكانًا محوريًا فى مناهج المستقبل، وبخاصة التفكير فيما وراء المعرفة، لتحديد المعانى الضمنية ولمعرفة ما بين السطور، ولاسيما أن التذكر والمعارف المبنية على الحقائق، لاتمثل تعليمًا حقيقيًا، لذا ينبغى تأسيس التعليم كبناء للمعارف يقوم على الفهم والتفكير، وليس مجرد حفظ آلى للمعلومة.

(٢٢) ينبغى أن تتزاوج فى مناهج المستقبل كل من : الأهداف الأكاديمية، والجانب التطبيقى للعلم فى حل المشكلات، والخبرات الحياتية للتلاميذ، بحيث تنصهر في بوتقة واحدة، يظهر مزيجها العلاقات المتداخلة والمتشابكة، فيما بينها.

إن تحقيق المقاصد والغايات السابقة فى تصميم وبناء منظومة المناهج، تكون محصلته النهائية المتوقعة تقديم تعليم متميز، يسهم - بدوره - فى إعداد المتعلم قوى العقل، الذي يقف بقدميه ثابتًا على الأرض ورأسه فى السحاب، لأنه يسيطر على مهارات التفكير، ويستخدمها الإستخدام الأمثل، والذي يستطيع أن يتعامل بسهولة ويسر مع إفرازات عصر العولمة وتحدياته المستقبلية، لأنه يستطيع تحليل الأحداث وفهم التداخلات فيما بينهما، ويأخذ القرار السليم تجاهها.

(١) مجدى عزيز إبراهيم، **المنهج التربوى العالمى... أسس تصميم منهج تربوى فى ضوء التنوع الثقافى**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠١.

(٢) مجدى عزيز إبراهيم، **دراسات فى المنهج التربوى المعاصر**، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٠.

(٣) نبيل حلمى، **العرب وعصر المعلومات**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩.

الفصل الخامس

منظومة التعليم وأخلاقيات العولمة*

- تمهيد
- أخلاقيات العولمة.
- سمات الفرد فى ضوء أخلاقيات العولمة.
- منظومة التعليم وأخلاقيات العولمة.
- خاتمة.

* مؤتمر التغيير والإدارة على المكشوف (وايد سيرفيس للاستشارات والتطوير الإدارى، القاهرة: ٢٦- ٢٨/ ١٠/ ٢٠٠٢)

تمهيد:

يقول (مرسى عطا الله).

«إن علينا أن ندرك إننا نعيش واقعًا دوليًا جديدًا تتدفق حركة المياه فيه بعيدًا عن أفواهنا، حتى لو كنا نحن الأحق بهذه المياه والأكثر احتياجًا لها من الآخرين!.

نحن بالفعل نعيش واقعًا دوليًا يجرى فيه الاستغناء تدريجيًا عن جميع المعايير القانونية والسياسية والأخلاقية لكى تصبح حركة السياسة الدولية رهنًا لمعيار واحد، هو معيار القوة المهيمنة والمتسلطة فقط!

وفى مواجهة مثل هذا الواقع بصعب التعامل بسياسة استقطابية حادة تختصر الأمور فى خيارين وحيدين: أبيض أو أسود. فلا الاستسلام للواقع يليق بالأمم الحية الناهضة، ولا التصادم والتناطح بالرأس مع التيران الهائجة يمكن أن يحقق أية فائدة!.

فى مواجهة مثل هذا الواقع الذى فرض نفسه علينا - وعلى الدنيا كلها - بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر، يتحتم إعادة النظر فى وسائل وآليات التعامل بنفس حتمية التمسك بالثوابت الاستراتيجية». (١)

هكذا، إنتهى كلام (مرسى عطا الله) الذى يبرز أن التغيرات فى مجالات عديدة، باتت واقعًا ملموسًا ومفروضًا آنيا، بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١. ودون مغالاة فى القول، يمكننا إضافة إلى ما تقدم، أننا نعيش فى عالم التناقضات الشديدة، ما بين السلام والحرب، الأمن والعنف، الاستقرار والاضطراب، الحب والكراهية، القبول والرفض، الأخلاق والمجون، ... إلخ، وعلينا مواجهة هذه التناقضات بفكر جديد، وتفكير غير أحادى، بحيث لانغالى فى القبول أو الرفض، أو فى التأييد أو المعارضة.

والسؤال :

هل يمكن تطبيق ما تقدم على الأخلاقيات؟!.

يتمحور إهتمام الحديث التالى حول الإجابة عن السؤال السابق، من خلال دراسة الموضوعات التالية:

* أخلاقيات العولمة.
* سمات الفرد فى ضوء أخلاقيات العولمة.
* منظومة التعليم وأخلاقيات العولمة.

وفيما عرض تفصيلى للمحاور الثلاثة السابقة:

أولا : أخلاقيات العولمة :

للحديث عن مفهوم ودلالة الأخلاق، نعود إلى كتاب «الأخلاق النيقوماخية»، فهو من أفضل الكتب التي ألفت في هذا الموضوع على الاطلاق... ومن مختارات ما جاء في هذا الكتاب، نذكر الآتي: (٢)

* لا تتجلى حيازة الإنسان للعقل في قدرته على التفكير فحسب، بل تتجلى أيضا في قدرته على التحكم بفكره ومبادئه في رغباته وسلوكه، وعلى ذلك فلا تكون فضائل الانسان عقلية فحسب، بل هي أيضًا فضائل أخلاقية (أو أنها فضائل تتعلق بشخصيته).

* والفضيلة الخلقية تعنى بالمشاعر والأفعال، ومن هذه ما قد يكون فيه تفريط وما قد يكون فيه افراط، وأما الفضيلة فهي القدر الصحيح، أي «الوسط». وليست الفضيلة إلا اختيار الوسط بين رذيلتين متضادتين: فالكرم وسط بين الشح والتبذير؛ والوسط الذي نحن بصدده ليس متوسطًا حسابيًا، بل هو الوسط «بالنسبة لنا»، أي أنه الوسط المناسب للإنسان، وهذا - كما يقول (أرسطو) - يتوقف على حصافة الإنسان، أي حكمته العملية.

* وتعنى الفضيلة العقلية الحكمة العملية، وهي تمكن الإنسان من الحصول على الإجابات الصحيحة عن مشكلات السلوك العملية؛ وهي تتضمن المهارة في التروى، لكنها تفترض أيضًا توفر الفضيلة الخلقية، لأن توفر الغايات السليمة أمر يتعلق بالفضيلة الخلقية - لأن الخلق يحدد الغايات؛ والواقع أن الخير الخلقي والحكمة العملية لا ينفصلان، فكلاهما بحكم تعريفه يتضمن الآخر.

هذا هو المقصود بالأخلاق، وفي ضوء ذلك، علينا طرح السؤال المهم التالي:

أين موقع أخلاقيات الإنسان المصري، مما سبق ذكره؟!

منذ سبعينيات القرن المنصرم، يعاني الشارع المصري من فوضى حقيقية، تعكس مدى الانحدار في مستوى أخلاق الإنسان المصري. ان المظاهر التي تسود الشارع المصري تعكس علامات: استفسار وتساؤلات، قلق وتوتر، توهان وحيرة، بسبب إعطاء القانون أجازة طويلة. ونتيجة لهذه الأجازة، لاتوجد ضوابط لحركة السيارات والأفراد، على حد سواء، رغم وجود القوانين التي تنظم حركة المرور. أيضًا، يعاني الشارع المصري من فوضى الأسعار بسبب المضاربة على السلع، وبسبب صعوبة التمييز بين السلعة: الأصلية والمقلدة، الصالحة والفاسدة، المحلية والمستوردة. كذلك، إختلط الحابل بالنابل بالنسبة لآداب الحديث والتعامل، ولأصول الذوق والكياسة، في معاملات الأفراد بعضهم البعض، في الشارع المصري.

خلاصة القول. تغيرت – للأسف – غالبية أخلاق الناس نحو الأسوأ، حيث فقدوا شهامتهم، وباتوا لايبالون – في أغلب الأحوال – بالأفعال الفاضحة التي تحدث من حولهم، وبذلك انتهكت حرمة الشارع المصري.[٣]

وهنا، قد يقول: «إن ما سبق الإشارة إليه، يعود بالدرجة الأولى إلى الغوغائيين والمجرمين، ولايعود إلى السواد الأعظم من الناس».

هذا صحيح، ولكن بسبب تدني المستوى الاقتصادي بالنسبة لغالبية الناس، يضطر فقراء العمال والموظفين (وما أكثرهم) إلى القيام بأعمال غير مشروعة، في المجالات التي يعملون فيها. وأحيانًا، بسبب إستمرار هؤلاء الناس لما يقومون به من أعمال غير قانونية، فإنهم يتصرفون كأعتى المجرمين، ويحققون أعمالاً خاطفة، تفوق كل تخيل أو تصور.

وقد يقول قائل آخر: «إن الكاتب متشائم بدرجة كبيرة، ويرسم صورة سوداوية للشارع المصري».

إن ما سبق ذكره ليس صورة سوداوية، بقدر هو ذكر لبعض الحقيقة، وليست كلها، وما أكثر الكتابات التي تناولت الخلل الذي حدث في الشخصية المصرية.[٤]

وقد يقول قائل ثالث: «وماذا عن موقف المتعلمين والمثقفين؟!»

فيما يخص المتعلمين، تطالعنا الصحف والمجالات بصفة دورية عن شجون مهنة الصحافة، وفضائح الأطباء الجنسية، ومخالفات أعضاء هيئة التدريس في الجامعات والمدارس، ورشوة المهندسين، واختلاسات كبار المسئولين، ... إلخ، وذلك دلالة على أن المصيبة طالت المثقفين والمتعلمين، على السواء.

وفيما يخص المثقفين، يكتب (**عماد الغزالي**) ما يلي:[٥]

* «والحاصل الآن أن الجماعة الثقافية المصرية بدت في حالة انكشاف تستوجب المراجعة».
* «تشغلني كثيرًا العلاقة بين المثقف والسياسي – يريد الأول أن يلعب دور الثاني أو لصالحه... بعض هؤلاء يكون مباشرًا إلى حد الفجاجة في نفاق السلطة والمزايدة على مواقفها... آخرون أكثر خبثًا، يمسكون بالعصا من المنتصف يتلمسون اتجاه الريح ويبدلون الأقنعة حسب الأحوال»

أيضًا، يكتب (**فاروق جويدة**) في جرأة وصراحة ما يلي:

«مازلت اعتقد أن واقعنا الثقافي مازال يعاني هذه الأمراض ولم يسلم منها في يوم من الأيام، خاصة بين تلك الأجيال التي مارست لعبة الثقافة وجنت من ثمارها الكثير، وأصبحت الثقافة بالنسبة لهم طريقًا لتحقيق الأهداف، وليست قضية عقول وفكر ومواقف.

وللأسف الشديد أن هؤلاء لديهم قدرة غريبة على تحريك المياه الراكدة فى كل اتجاه وفى أى ظروف... إن لديهم قدرة عجيبة على افتعال الصخب والضجيج الكاذب.. وهم قادرون أيضاً على التهويش والخداع والمناورة».(٦)

ثانياً: سمات الفرد فى ضوء أخلاقيات العولمة:

وجاء عصر العولمة، وهو عصر يتميز بقدرته على توفير وتدفق المعلومات بسرعة وكثافة هائلتين، عن طريق الاستفادة من ثورة الاتصالات والبرمجيات وامكانات إنترنت.

وبسبب التراكم المعرفى الذى يتحقق بسرعة تفوق كل تخيل أو تصور، أصيب الإنسان بما يسمى حالياً بالإعياء المعلوماتى. وحتى يخرج الإنسان من دائرة هذا الإعياء، يقوم أحياناً باعمال تعكس أحياناً أخلاقيات مقبولة وإيجابية، ويقوم أحياناً أخرى بافعال تنافى الأخلاق، وتشذ عنها.

ومن المهم، بمكانة تحديد الأنماط و السمات الشخصية للفرد، التى ظهرت كإفراز أساسى لعصر العولمة، سواء كان ذلك من المنظور الإيجابى أو السلبى للعولمة كظاهرة:

(١) المنظور الإيجابى لظاهرة العولمة، وتتمثل فاعلياته المهمة، فى الآتى:

* فضح محاولة الليبرالية الجديدة المتطرفة استغلال ظاهرة العولمة كظاهرة تاريخية إيجابية لم يعرفها تطور المجتمعات البشرية من قبل، لفرض إيديولوچياتها، ومقاومة قوى المجتمع المدنى التى تندد بالجوانب السلبية فى ظاهرة العولمة نفسها.

* كشف الأشكال المختلفة للإرهاب المنظم، سواء أكان ذلك على مستوى محلى، أم مستوى دولى، مع إبراز أن العنف لايصدر دائما عن الأفراد والجماعات، بل يصدر عن السلطة الحاكمة نفسها، فى كثير من الحالات. وفى حالة إرهاب الدول، فإنه يكون من أخطر أنواع الإرهاب.

* إبراز أن الحوار، لابديل عنه، لأن غير ذلك يعنى الصدام والتصادم، ويؤدى إلى الدخول فى صراع حضارى ودينى وعرقى، تكون نهايته الفوضى، ومزيد من البلقنة والضعف والتخلف.

* لاتقتصر ظاهرة العولمة على البعد الاقتصادى فقط، إذ إن لها جانبها السياسى والإجتماعى والإعلامى والثقافى، مع مراعاة أن الحديث عن العولمة الثقافية يجر حتماً إلى إثارة الجدل بين الكونية والخصوصية.(٧)

ونتيجة لفاعليات المنظور الإيجابى لظاهرة العولمة آنفة الذكر، يمكن تحديد السمات الإيجابية للفرد المهمة، فى حدود هذا الإطار، فى الآتى:

- الفرد محللا وناقداً للأحداث من حوله.
- الفرد متسامحًا عن قوة، ومؤكداً فاتيته فى الوقت نفسه.
- الفرد فاهمًا لظروفه وظروف الآخرين.
- الفرد متفاعلاً مع نفسه، ومع أعضاء جماعته، بما يخدم المجتمع.
- الفرد مواطنًا، على المستوين : المحلى والعالمى.
- الفرد محاوراً، على أساس إحترامه لثقافته، ولثقافة الآخرين فى الوقت نفسه.
- الفرد رافضًا لفكرة تضخيم الذات، والتغنى بهوية الحاضر.
- الفرد منصهراً بين الماضى والحاضر والمستقبل.
- الفرد متطلعًا للخبرات الجديدة والمتجددة.
- الفرد معترفًا بأخطاء الماضى، ساعيًا لتصحيحها.
- الفرد جريئًا فى نشر أفكاره.
- الفرد مبدعًا، ولايقبل الحلول الجاهزة النمطية.
- الفرد منتجًا للأفكار المادية والمعنوية.

(٢) المنظور السلبى لظاهرة العولمة، وتتمثل فاعلياته المهمة، فى الآتى :

* تأكيد أن العلم تحكمه وتتحكم فيه قوة واحدة، مع إبراز أن الجانب الاقتصادى هو الذى يحدد طبيعة العلاقات بين الدول بعضها البعض، وبين الأفراد بعضهم البعض، مع تأكيد قوة وأهمية البنك الدولى والشركات عابرة المحيطات والقارات بالنسبة للاقتصاد العالمى.
* تأكيد إرهاب الدولة بحجة مقاومة إرهاب الأفراد أو المنظمات. وقد يمتد هذا التأكيد، بحيث يتسع نطاقه، ليشمل دولاً عديدة، وبذلك ينقسم العالم إلى قسمين: مع أوضد.
* تأكيد الحوار من مركز القوة، وبذلك يُمكن فرض الأمر الواقع، ونتيجة لذلك يمكن لبعض الأفراد، أو لبعض الدول فقد منطق سيادتها الفعلى، رغم أن الأمر الظاهر يبدو عكس ذلك.
* تأكيد صراع الحضارات، بدلاً من حوارها، وبذلك تحاول الدول المسيطرة فرض ثقافة واحدة وحيدة، كما تختفى الخصوصية الثقافية، وتتشوه الهوية القومية.

ونتيجة لفاعليات المنظور السلبى لظاهرة العولمة آنفة الذكر، يمكن تحديد السمات السلبية للفرد فى حدود هذا الإطار، فى الآتى:

- الفرد منحازًا لفكره، أو فكر الجماعة التى ينتمى إليها.

- الفرد مشغولاً بالحاضر مشدوداً إلى الماضى.
- الفرد حائراً بين «الحقيقة» و «اليقين».
- الفرد متقوقعًا على ذاته، وغير متفاعل مع الآخرين.
- الفرد مهتمًا بالجانب المادى، على حساب الجانب المعنوى
- الفرد باحثًا عن مصلحته الخاصة، ولو كان ذلك على حساب الآخرين.
- الفرد حدسيًا فى أغلب الأحيان، ولايشغل آلياته الذهنية (أحادى التفكير)
- الفرد مستكينًا، ويقبل الأمر الواقع.
- الفرد رافضًا للقيود التى تحد من حريته المطلقة (الفوضوية).
- الفرد منعزلاً عن الأحداث المحلية والعالمية.
- الفرد أنانيًا، يعمل من أجل مصلحته الشخصية فقط.
- الفرد فوضويًا، حيث يسعى لحل مشكلاته عن طريق القوة.
- الفرد مستهلكًا ومشبعًا لحاجاته بنهم.

والواقع أن التقسيم السابق تعسفى، إذ إن الطبيعة البشرية فى مطالبها الأساسية، قد تحدث خلطًا، ما بين السمات الفردية، سواء أكانت نتيجة لفاعليات المنظور الإيجابى أم السلبى لظاهرة العولمة. بمعنى؛ فى ضوء التفاعلات الإنسانية، يمكن أن تختلط الأوراق، بحيث تتداخل السمات الإيجابية والسلبية معًا. ناهيك عن أن فاعليات ظاهرة العولمة، سواء أكانت إيجابية أم سلبية، يمكن أن تتداخل سويًا، وتتفاعل معًا، فى ضوء متغيرات العصر نفسه. ولذلك، أحيانًا بسبب ظروف ومتغيرات ومعطيات العصر، يمكن أن تحل بعض الفاعليات الإيجابية محل الفاعليات السلبية، والعكس بالعكس أيضًا صحيح.

وجدير بالذكر أن فاعليات العولمة، سواء أكانت إيجابية أم سلبية، تتوقف على الظروف والأوضاع السائدة، سواء أكانت محلية أم عالمية. فعلى سبيل المثال، قد تهتز الأوضاع الاقتصادية فى عديد من الدول، إذا إهتز قيمة الدولار، فى البورصات العالمية، أو إذا حدثت نزاعات أو حروب بين بعض الدول. ونيجة لذلك، قد تحل الإيجابيات محل السلبيات، أو قد تحل السلبيات محل الإيجابيات، وفقًا لمتغيرات العصر.

ثالثًا: منظومة التعليم وأخلاقيات العولمة:

فى دراسة سابقة، حددنا عناصر منظومة التعليم، فى الآتى:

- العامل البشرى.
- المبانى والتجهيزات.

- القواعد الفنية والإدارية.
- المناخ التعليمى.
- أدوات التعليم والتعلم.
- المناهج (المحتوى الدراسى).

وقد يبدو أن **العامل البشرى** هو الفيصل بالنسبة لقضية أخلاقيات العولمة، لعلاقته المباشرة بالسمات الإيجابية أو السلبية للفرد التى إنبثقت نتيجة المنظور الإيجابى أو السلبى لظاهرة العولمة، إذ إن الفرد أيًا كان موضعه (تلميذ - مدرس - موجه - مدير مدرسة...)، هو الذى يقبل أو يرفض أخلاقيات العولمة أيا كانت هويتها. بمعنى؛ الفرد فى ظل ظروفه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية... إلخ، يفهم ويتفهم العولمة فى تجلياتها المختلفة، فيقر ما يتوافق مع فكره وتفكيره، ويستبعد ما يخرج عن دائرة إهتمامه، وفق أسس عقلانية وموضوعية أحيانًا، ووفق معايير وجدانية وشعورية فى أحيان أخرى.

ما تقدم، صحيح بدرجة ما، ولكنه غير صحيح على طول الخط، وخاصة أن بقية العوامل يمكن أن تؤثر فى الفرد، فتؤكد سماته الإيجابية أو السلبية، التى تنبثق فى ظل ظروف عصر العولمة، كما أوضحنا فيما تقدم. ولتوضيح ذلك، فإننا نتطرق لبقية عوامل منظومة التعليم لتوضيح تأثيراتها على سمات الفرد فى عصر العولمة، وذلك على النحو التالى:

• المبانى والتجهيزات:

إذا حدث خلل فى هذا العنصر، تتأكد سمات الفرد السلبية. فعلى سبيل المثال، لايستطيع المدرس أو التلميذ أن يبدعان، فى وجود فصول مزدحمة وعالية الكثافة، وفى عدم وجود التجهيزات التى يتطلبها الموقف التدريسى. أيضًا، القصور فى المبانى والتجهيزات، يعنى عدم وجود: المعامل والمختبرات، الأفنية والملاعب، وحجرات الأنشطة والمسارح، وذلك يحد من إعتماد التلميذ على نفسه فى إجراء التجارب العملية، وفى ممارسة النشاطات الرياضية والفنية والاجتماعية المختلفة.

• القواعد الفنية والإدارية:

يؤكد وجود القواعد الإيجابية سمات الفرد الإيجابية. ولكن، عندما يجد التلميذ نفسه محصورًا ومحاصرًا بقواعد يصعب عليه التعامل معها، وخاصة إذا اتسمت القواعد الفنية والإدارية بالجمود، أو إذا أشاعت مناخًا ديكتاتوريًا بالنسبة لأساليب التفاعل بين أفراد العملية التعليمية، فذلك يعمل على تثبيت سمات الفرد السلبية، ناهيك عن عدم تدريب التلميذ على ممارسة أساليب الإدارة العلمية الصحيحة، حيث تتحدد الأدوار بدقة متناهية لكل فرد.

* المناخ التعليمي :

ويتحدد في أربعة مستويات، هي :

- التفاعل بين المدرس والتلميذ داخل الفصل.
- التفاعل بين المدرسين بعضهم البعض، وبين التلاميذ بعضهم البعض، وبين المدرسين والتلاميذ، خارج الفصل.
- التفاعل بين المدرسين والتلاميذ وإدارة المدرسة، داخل وخارج الفصل.
- التفاعل بين إدارة المدرسة، والإدارات التربوية والمؤسسات الإجتماعية والاقتصادية والإعلامية، خارج المدرسة.

وكلما أمعنت التفاعلات السابقة في ديمقراطيتها، تتحقق أخلاقيات العولمة التي تؤكد سمات الفرد الإيجابية. وكمثال على ذلك، إذا قام التفاعل بين إدارة المدرسة والإدارة التعليمية على أساس ديكتاتورى، فإن تأثير ذلك يكون سلبًا على من المدرسين والتلاميذ. وإذا تحقق ذلك، يشعر المدرس والتلميذ معًا، إنهما فقدا حريتهما المنظمة والمسئولة التي تسمح بها القوانين واللوائح المنظمة للعمل داخل المدرسة، وذلك يؤثر سلبًا في الأداءات والممارسات التي تقوم عليها المواقف التعليمية / التعلمية، ناهيك عن التأثير السلبي في السلوك الأخلاقي الشخصي، لكل من المدرس والتلميذ، إذا شعر كل منهما بالظلم.

* أدوات التعليم والتعلم:

تبدو أدوات التعليم والتعلم في الموقف التدريسي، وكأنها الدفة بالنسبة للسفينة. وحيث أن السفينة لا يمكن أن تحدد مسارها، وقد تتعرض للغرق، بدون دفتها، هكذا الحال بالنسبة للموقف التدريسي في حالة عدم وجود أدوات التعليم والتعلم، أو في حالة عدم مناسبتها وقصورها. وفي المقابل، عندما تتوافر تلك الأدوات، يزداد التفاعل بين المدرس والتلميذ، حيث يمكن أن يعمل التلميذ منفردًا في مجموعات تحت إشراف المدرس، وذلك يكسبه سلوكًا إيجابيًا، مثل: التعاون واحترام الآخرين والعمل من أجل المصلحة العامة... إلخ. أيضًا، قد يتطلب الموقف التدريسي أن يعمل المدرس منفردًا، فإذا توافرت أدوات التعليم والتعلم التي يحتاجها المعلم، فإنه يبدع من جهته، كما يلتزم التلميذ من ناحيته، ويركز فيما يقوله المعلم، وفقًا لمستلزمات العملية التربوية.

* المناهج (المحتوى الدراسي) :

قلنا فيما تقدم، إننا نعيش في عصر المعلوماتية، حيث يصاب الفرد بالإعياء المعلوماتي، إذا حاول متابعة كل جديد وحديث من المعرفة. لذا، إذا إتسمت موضوعات المحتوى الدراسي بعدم الحداثة، بحيث باتت غير متوافقة، أو غير مواكبة لظروف العصر

ومتطلباته، فإن التلميذ يستطيع بسهولة اكتشاف ذلك، ويستهين بما يتعلمه فى الوقت نفسه، ثم يتساءل عن فائدة ما تقدمه المدرسة، وخاصة أن نسبة كبيرة من التلاميذ فى جميع مراحل التعليم قبل الجامعى تتعامل مباشرة مع الكمبيوتر، كما أن نسبة من تلاميذ المرحلتين: الإعدادية والثانوية، يمكنها دخول مواقع متعددة على إنترنت.

وبعامة، يمكن أن تكون المناهج السبب المباشرة فى إطلاق الطاقات الكامنة عند التلميذ، إذا كانت جذابة ومشوقة للعصر. وفى المقابل، يمكن أن تكون المناهج عقبة كؤود، أو حجر عثرة فى سبيل إكساب التلميذ التفكير المتشعب، الذى يساعده فى حل المشكلات الدراسية والحياتية.

وجدير بالذكر أنه رغم التوضيح آنف الذكر لدور كل عنصر من عناصر منظومة التعليم بالنسبة لقضية أخلاقيات العولمة، فإننا ننوه إلى أهمية أن تعمل منظومة التعليم كآلية واحدة، ضماناً لكفاءة دورها فى تحقيق سمات المتعلم الإيجابية، وتأكيداً لتحقيق تكامل منظومة التعليم نفسها.

خلاصة القول :

يبرز الحديث السابق أننا نعيش فى عصر العولمة، حيث ظهرت أخلاقيات غير مألوفة من قبل، بحيث أصبحت الصورة حالكة السواد بدجة كبيرة بالنسبة لعلاقات الأفراد بعضهم البعض من جهة، وبالنسبة للأنظمة التى تتحكم فى سير العمل فى المدرسة، والمؤسسات الأخرى من جهة ثانية. وعلى الرغم من هذا، فإن العولمة لها تجلياتها، التى يتسم بعضها بالإيجابية، وهذه يترتب عليها تحقق سمات إيجابية للفرد، وفى المقابل، فإن تجليات العولمة السلبية، تسهم فى تحقيق سمات سلبية عند الفرد. وفى النهاية، يقدم الحديث السابق الدور الذى يمكن أن تقوم به منظومة التعليم لتأكيد سمات الفرد الإيجابية، ولإنتفاء سماته السلبية.

المراجع

(١) مرسى عطا الله، «ضرورة مراجعة الوسائل حتى تمر العاصفة!»، **جريدة الأهرام**، ٢٣/٦/٢٠٠٢.

(٢) برمسون، چي. أو (المحرر)، ترجمة فؤاد كامل وآخرين، **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٢.

(٣) مجدى عزيز إبراهيم، **المنهج التربوى والأمن القومى: قضية التطرف والإرهاب**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٤.

(٤) يمكن الرجوع إلى المصادر التالية – على سبيل المثال وليس الحصر – التى تطرقت إلى حال ووضع الشخصية المصرية، فى وقتنا هذا :

* فؤاد قنديل، **صناعة التقدم فى مصر.. العوامل والشروط**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١.

* عزة عزت، **لغة الشارع والتحولات فى الشخصية المصرية**، القاهرة: كتاب الهلال، العدد ٥٩٨، أكتوبر ٢٠٠٠.

* رجب البنا، **المصريون فى المرآة**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠.

* جلال أمين، **ماذا حدث للمصريين؟ تطور المجتمع المصرى فى نصف قرن: ١٩٤٥–١٩٩٥**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩.

(٥) عماد الغزالى، **نهاية المطاف**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢، ص ٦٢، ص٧٤.

(٦) فاروق جويدة، «حول الثقافة... والمثقفين»، **جريدة الأهرام**، ٥/٨/٢٠٠١.

(٧) الحبيب الجنحانى، «الغرب والعالم الإسلامى... صدم أم حوار؟»، **مجلة العربى** (الكويت)، العدد ٥٢٤، يوليو ٢٠٠٢، ص ص ٣٠ – ٣٤.

الفصل السادس

منظومة التعليم المدرسى فى مقابلة صدمات المستقبل بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ *

- تمهيد
- صدمات المستقبل.
- منظومة التعليم المدرسى فى مقابلة صدمات المستقبل.
- خاتمة.

* مؤتمر التغيير والإدارة على المكشوف (وايد سيرفيس للاستشارات والتطوير الإدارى: القاهرة: ٢٦-٢٨/١٠/٢٠٠٢)

تمهيد:

«المستقبل آت آت.. فالمستقبل هو الإمتداد الطبيعي للحاضر». وبعض أحداث المستقبل يمكن التنبؤ بها، فتكون واضحة، وبالتالي يمكن مقابلة تجلياتها. وفي المقابل، فإن البعض الآخر يتسم بالغموض، يصعب التنبؤ به. لذلك، عندما تقع تلك الأحداث الغامضة، تكون تأثيراتها كوقع الساعة، وقد تصيب الفرد بهزة نفسية، أو إجتماعية، أو اقتصادية عنيفة. أيضًا، قد تزلزل الأعراف والقيم المجتمعية السائدة، وقد يصل الأمر إلى إقتلاعها من جذورها، لتحل محلها مجموعة من الأعراف والقيم الجديدة، التي يمكنها مقابلة صدمات المستقبل، غير المتوقعة.

ولتوضيح ما تقدم، نقول:

عندما تفكك الاتحاد السوفيتي-في بدايات العقد الأخير من القرن العشرين، فذلك كان متوقعًا بدرجة كبيرة، حيث بشر (**نيكسون**) بذلك، وسعى (**ريجان**) إلى تحقيقه. لذا، فإن صدمة هذا التفكك تقبلها العقل الإنساني، وخاصة العقل الغربي، بدرجة ما. ولكن أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، نزلت كالصاعقة على المسئولين الرسميين في الولايات المتحدة الأمريكية، كما أنها شلت تفكير المواطن العادي هناك. أيضًا، طالت تأثيرات تلك الأحداث حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية، خشية تكرارها مرة أخرى على أراضيهم. كذلك، فإن الد أعداء الولايات المتحدة الأمريكية من العقلاء، استنكروا تلك الأحداث التي تسببت في مقتل آلاف من جنسيات مختلفة، لاتربطهم أية رابطة بالسياسة الرسمية للولايات المتحدة الأمريكية.

أولا: صدمات المستقبل:

لقد شهدت تسعينيات القرن العشرين، ولادة النظام العالمي الجديد، تحت مسمى العولمة. وتحت مظلة هذا النظام، باتت الهيمنة الاقتصادية، والسيطرة العسكرية، من نصيب الولايات المتحدة الأمريكية، للدرجة التي جعلت من دول أوروبا الحليفة لها، مجرد (كومبارس)، أحيانًا ينطقون، وفي أغلب الأحوال يصمتون، بالنسبة للأدوار التي تمثلها الولايات المتحدة الأمريكية.

هكذا كان الوضع قبل أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، حيث تمركزت مصادر القوة في يد الولايات المتحدة الأمريكية، يشاركها في ذلك عن بعد الدول الأوروبية. ووقعت صدمة ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وكانت تأثيراتها قوية ومباشرة على جميع دول العالم، بلا استثناء. فعلى سبيل المثال، بعد تلك الأحداث، من المتوقع أن يحمل المستقبل للدول النامية، صدمات وصدمات، وخاصة بعد أن أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية صراحة، بأن من ليس معها، فهو عليها، وبعد أن قسمت العالم إلى حلفاء وأعداء، وبعد أن حدد (بوش) الإبن دولاً بعينها، تمثل محوراً للشر، لأنها تساعد وتدعم الإرهاب على مستوى العالم.

تأسيساً على ما تقدم، وفي ضوء إننا نعيش الآن، في عالم لا تسوده النزاهة، ولايخضع لأية معايير قانونية وسياسية وأخلاقية واضحة، فمن المتوقع أن يحمل لنا المستقبل الصدمات التالية:

(١) صدام الحضارات :

تأكيد الدول المهيمنة – وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية – قوة الاقتصاد العالمي الجديد. وكنتيجة طبيعية لتلك القوة، تتأكد من وجهة نظر تلك الدول جدوى وأهمية فكرة تصادم الحضارات. لذلك، من المتوقع أن تسعى دول الشمال جاهدة إعادة تشكيل العالم، وتقسيمه، وتوزيعه، على أسس قديمة، كانت سائدة ، قبل القرن التاسع عشر (فترة الاحتلال والاستعمار العسكري)، حيث يجري إحياء تلك الأسس بصياغات حديثة عن الإيديولوجية والسياسة والاقتصاد والثقافة.. إلخ.

(٢) اختفاء نقطة التراث :

ونتيجة للصدمة السابقة، قد تظهر صدمة أخرى لاتقل قسوة وفداحة، تتمثل في المحاولات المقصودة من دول الشمال لإخفاء كلمتي :« تراث Heritage»، وتقاليد Tradition's»، والاقتصار على استخدام لفظة « ثقافة Culture» وتفريعاتها، رغم أن الدول المتقدمة ذاتها، قد حققت الحداثة، عن طريق السياسات والقرارات العقلانية، ولم تهجر أبداً جميع مواريثها، أو تقاليدها، أو أعرافها.

(٣) التطرف والإرهاب:

ربط الدول النامية بعامة، والدول العربية بخاصة، بظهور دعوات التطرف، وبممارسة أنشطة الإرهاب، لذلك من المتوقع أن يكون ذلك ذريعة أمام الدول التكنولوجية المتقدمة لفرض شروطها على الدول النامية والعربية، من حيث: (١) الخطط التنموية الاقتصادية، (٢) الحدود التي يجب ألا تتجاوزها بالنسبة لتسليح جيوشها، (٣) قوانين الهجرة إلى دول الشمال، (٤) المواد المنشورة في أجهزة الإعلام المختلفة (صحف ومجلات، إذاعة، تلفاز)، .. إلخ.

(٤) القوة في تنظيم العلاقات :

ربط السياسة الدولية بمعيار واحد، هو معيار القوة المهيمنة والمتسلطة فقط، وبذلك يتم الاستغناء عن جميع المعايير القانونية والسياسية والأخلاقية، التي تنظم العلاقات بين الدول بعضها البعض من جهة، وبين الأفراد في كل دولة من تلك الدول من جهة ثانية، وبين الأفراد بعضهم البعض في الدول المختلفة من جهة ثالثة، وكنتيجة طبيعية لما تقدم، قد تظهر العديد من السلبيات، نذكر منها على سبيل المثال، وليس الحصر، الآتي:

- القوة أيا كان مصدرها أو صورتها، هى لغة التعامل.
- المصلحة تبرر الوسيلة.
- الأخلاق النبيلة للفرسان، لا محل لها من الإعراب.
- التعامل من أجل تحقيق المصالح الخاصة المشتركة فقط، بين الأفراد والدول، على السواء.
- الخطاب الإنسانى، الذى يقوم على أساس التعامل الكفؤ والمتكافئ، لا وجود له.
- السيطرة على عقل الإنسانى وتفكيره.
- تبرير الأعمال غير المشروعة، سواء صدرت من جهات مسئولة، أو من أفراد.
- استغلال العلم فى تحقيق أهداف وأغراض غير إنسانية، تمس الحياة المباشرة والطبيعية للفرد.

(٥) عدم توزيع الأدوار بعدالة:

زيادة وزيادة كراهية الأفراد العاديين للولايات المتحدة الأمريكية لانحيازها الكامل لإسرائيل، ولعدم محاولتها تسوية قضية فلسطين على أساس عادل، قد يترتب عليه زيادة عنف الشارع ضد المصالح والمشروعات الأجنبية، والعمل على مقاطعة الولايات المتحدة الأمريكية، فى شتى المجالات والميادين. وعلى الرغم من أن الإجراء السابق، يبدو وكأنه الإجراء الطبيعى، فإن له العديد من السلبيات بالنسبة للدول العربية، طالما مازالت تعتمد على دول أخرى فى عديد من متطلباتها الأساسية. فعلى سبيل المثال، قد يهتز إقتصاد دولة بعينها، إذا هربت المشاريع التنموية الاقتصادية إلى مكان آخر، يتوافر فيه المزيد من الأمن والأمان.

(٦) الغيبوبة الثقافية وظهور لغة المصالح :

قد تتحقق الغيبوبة الثقافية Cultural Trance، بسبب تشكيك مصادر خارجية، يساعدها عوامل داخلية، فى بعض الرموز والقادة ونظم التعليم وإهمال الرعاية الثقافية. وقد تزداد حدة تلك الغيبوبة لافتقار الحياة الثقافية لنبل القصد وترفع الحاجات، بسبب ظهور لغة المصالح – كما قلنا من قبل – على مستوى جميع الفئات، بلا استثناء. ونتيجة لذلك، من المتوقع زيادة المساعى بطرق غير مشروعة وغير إنسانية، لتحقيق أهداف خفية تحتية، قد يترتب عليها:

- التهافت على المناصب والكراسى، والسعى وراء مصالح زائلة.
- التحرك سياسيًا على أساس دوافع إيديولوجية، وراءها أغراض وأهداف ومصالح خاصة.
- ظهور الشللية والانقسامات القبيحة.

- تبرير الأحداث من خلال التضخيم الإعلامى.
- محاولة إحتواء المعارضين بأى طريقة أو ثمن.

ونتيجة للسلبيات آنفة الذكر، من المتوقع ظهور الأمراض الثقافية التالية:

- إهمال القضايا الثقافية والإجتماعية والتربوية والتعليمية الجادة.
- تداخل الألوان، بحيث يكون لكل مجال مقال، ولكل موقف شعار.
- الأنقسام الحاد بين المثقفين، ومحاولتهم تصفية بعضهم البعض.
- غياب الموضوعية فى الأحكام، وتقويم المواقف على أساس غير عقلانى.
- غياب الوسطية، بسبب التصنيف على أساس: مع أو ضد.

(٧) المال الذهنى وتأكيد الإدارة المجتمعية:

تأكيد عبقرية المال الذهنى على شركات ومؤسسات بعينها، فى بعض البلدان المتقدمة، دون مراعاة ذلك المعيار فى الدول النامية على أساس مجتمعى كامل ومتكامل، بسبب ظروفها الاقتصادية، قد يكون السبب المباشر فى تحقيق التهميش والتفتيت والانهيار للدول النامية، فى ظل ظروف العولمة والانتقال إلى اقتصاد المعرفة. ان عدم تطوير الدول النامية للتكنولوجيا، التى تسهم فى تحقيق عبقرية التوجه المجتمعى، يؤدى إلى صعوبة - وأحياناً إستحالة - اللحاق بعصر المال الذهنى، رغم إن ذلك يمثل تحدياً كبيراً يفرضه الزمن الحالى، على جميع الكيانات فى الدول النامية. وتتجلى الصدمة المستقبلية بصورة سافرة، على الدول النامية، إذا حاولت الدول الغنية فرض النموذج الخاص بها، عن عبقرية المال الذهنى، مثل: تأكيد الأهمية الأساسية لدور الفرد، دون إهتمام يذكر بالإدارة المجتمعية، رغم الدور المهم لهذه الإدارة فى تحفيز «الإبداع المجتمعى»، الذى يسهم بدوره فى حضانة الإبداع الفردى.

(٨) العلم والمنهج العلمي:

فى خضم الحركة التقدمية الجبارة للعلم، ينتصب مارد المنهج العلمى، بوصفه القوة المثمرة الولود، لكل ما يتواتر من تغيرات، تؤكد صحتها أو عدم صحتها وقائع التجريب، مع الأخذ فى الإعتبار أن النظرة الفلسفية، هى التى تصوغ المنهج العلمى التجريبى، الذى ينطلق من إبداعات عقل الإنسان. ومن المتوقع زيادة إفراز عقل الإنسان، فى ضوء التقدم التقنى العظيم الذى يشهده العالم، حيث يقوم هذا التقدم على فلسفة تعتمد البحث العلمى، كفاعلية مستمرة تحمل فى صلب ذاتها عوامل تناميها المتواصل دائماً. وتكمن صدمة المستقبل بالنسبة للدول النامية، التى تسعى لتفعيل قدراتها العلمية البحثية، عندما تكتشف حقيقة وواقع خططها البحثية، حيث: (١) تفتقر الخطط البحثية لفلسفة

واضحة المعالم، (٢) البون شاسع بين أهداف هذه الخطط وأهداف نظرياتها في الدول المتقدمة، (٣) تدني الإمكانات المادية المخصصة للبحث العلمي في الدول النامية، (٤) عدم وجود الكوادر البشرية المدربة من الباحثين المساعدين، ومن الإداريين والعمال الفنيين المساعدين (الصف الثاني)، (٥) عدم توافر التقينات (الأجهزة والمعدات) الحديثة، التي يحتاجها البحث العلمي في عصرنا الراهن، (٦) عدم توافر الكتب والمراجع الورقية والإلكترونية.

(٩) التقسيم غير المتكافئ لفرص العمل:

تكرس إدارة العولمة تقسيماً غير متكافئ للعمل بين الشمال والجنوب، لذلك تواجه البلدان النامية شتى القيود على التدفق الحر للمعرفة والتكنولوجيا المترتبة على اتفاقية حماية حقوق الملكية الفكرية في إطار منظمة التجارة العالمية. وعليه، بالنسبة للدول النامية فيما يختص بتكافؤ الفرص في العمل بين الشمال والجنوب، تتمثل صدمة المستقبل في عدم إنصاف إدارة العولمة لها، عن قصد وعمد، وذلك يجعل الوصول إلى فرص ومكاسب العولمة بالنسبة للدول النامية، عملية صعبة للغاية، كما يسهم في تقليص فرص مشاركة تلك الدول في مؤسسات إدارة العولمة، ووضع قواعدها. ومن جهة أخرى، فإن تناقص عدد السكان في الشمال، دعا دول الشمال أن تعمل جاهدة لاستنزاف عقول أهل الجنوب، عن طريق تسهيل هجرة العمالة المدربة والكوادر المؤهلة، وتقديم فرص عمل لهم، إن لم تكن مغرية، فإنها تكون معقولة ومقبولة، أو تكون – على أقل تقدير – غير متوافرة في بلدانهم الأصلية. وذلك يمثل صورة ثانية لصدمة المستقبل، إذ من المتوقع تفاقم اختلال توزيع الثروة لصالح الشمال، دون إهتمام يذكر بتقديم الشمال العون اللازم للارتقاء بمدخلات التنمية الشمالية في بلدان الجنوب.

(١٠) حروب المستقبل :

على الرغم من أن الحروب تهدم أسس القيم المدنية، فإن الحكومات التي تشن الحروب العدوانية، تسعى لإقناع المواطنين البسطاء بأن الحرب ضرورة واجبة، للدفاع عن الأفكار النبيلة، أو توسيع دائرة تطبيق تلك الأفكار. وتتمثل صدمة المستقبل بالنسبة للدول المتقدمة والنامية على السواء، في عدم التناسب الخطر بين قوة التدمير المادية والقوة البناءة للحكمة الإنسانية. إن العالم بجميع أركانه، مطلوب منه اليوم، تعرية الاستخدام المجنون للقوة، حتى لاتحدث الكارثة. بمعنى؛ يجب على العالم العمل مع الإنسانية كلها، لخلق وسائل للحوار العقلاني، وإقامة علاقات اقتصادية متوازنة، وتحقيق العدل، حتى لا تنفجر وتتفجر الأحداث المؤلمة، التي تأتي على الأخضر واليابس، سواء أكان ذلك على المستوى الداخلي، أم الخارجي.

(١١) هيمنة الآلة على الإنسان :

تسيطر حاليًا الآلة على شتى مناحى الحياة، لذا إرتفعت قيمة الآلة، فى مقابل إنخفاض قيمة الإنسان. ونتيجة لهيمنة الآلة، باتت المعادلة التى تحكم وتتحكم فى نظام تشغيل الإنسان، هى : ٨٠٪ لايعملون، ٢٠٪ يعملون، لذلك إنتشرت البطالة بين الناس، فى جميع الفترات العمرية. قد يقال أن ذلك يعطى الإنسان مزيداً من وقت الترفيه عن النفس. هذا صحيح فى الدول التى يحصل فيها الإنسان على إعانة بطالة معقولة. ولكن، هذا الأمر لايتحقق فى غالبية دول العالم، حيث لايتم إعطاء الإنسان فى بعض الدول أية إعانات، بينما يتم إعطاء الإنسان فى دول أخرى، ما يكفى بالكاد لماكله ومسكنه، على أساس مستوى معيشى متواضع ومتدنى للغاية. ومن المتوقع زيادة نسبة عدد الذين لايعملون فى المستقبل القريب، بحيث ترتفع عن ٨٠٪. لذلك، فإن بطالة الشباب، سوف تمثل صدمة موجعة، بالنسبة لجميع الدول، بلا إستثناء. وسوف تتفاقم أبعاد وحدود هذه المشكلة مستقبلاً فى الدول النامية، حيث تاكل الزيادة السنوية فى عدد السكان جميع المحاولات الجادة لاستيعاب مشكلة البطالة. ناهيك عن أن هذه الدول ذاتها، تعانى من العجز الاقتصادى وتراكم الديون، مما يجعل غالبيتها تقف عاجزة تمامًا، عن مواجهة هذه المشكلة، بحلول جذرية فاعلة.

(١٢) التفكير العلمى :

لا نغالى القول إذا أكدنا أهمية التفكير العلمى، كهدف يُقصد لذاته، إذ يبنى عليه العديد من أسس التنظيم الاجتماعى، وفق أطر يتم على أساسها تحديد مقومات الحياة فى أى ثقافة معاصرة. وفى المستقبل القريب حيث ينبغى مواجهة سرعة وكثافة المتغيرات العالمية علميًا وتقنيًا، وحيث يجب مواجهة آثار الهندسة الوراثية على حياة البشر، من المتوقع أن يواجه الفرد عديداً من المشكلات الوظيفية والأسرية، بسبب التعقد المتنامى فى العلاقات بين الأفراد بعضهم البعض. ومن هنا تظهر أهمية التفكير العلمى، الذى على أساسه يستطيع الفرد إيجاد حلول إبداعية وغير نمطية للمشكلات، التى قد تصادفه. إن صدمة المستقبل سوف تتمثل فى غزارة وكثافة حجم الصعوبات المادية والمعنوية والعلمية والتقنية، التى قد يموج بها العالم مستقبلاً، وخاصة أن التعليم لايسهم بدرجة كبيرة فى الدول النامية، فى إكساب المنهج العلمى فى التفكير، مما يحول دون تحقيق المتعلمين أساليب الإبداع والاختراع والتكنولوجيا، ودون إكسابهم الفكر الإيجابى فى التعامل مع جميع مناحى الحياة.

ثانياً : منظومة التعليم المدرسى فى مقابلة صدمات المستقبل :

يمكن تحديد الأبعاد الأساسية لمحتوى المادة الدراسية (التعليمية / التعلمية)، فى الآتى :

- خبرات الماضى.
- متطلبات الحاضر.
- تطلعات المستقبل.

ويمكن تمثيل منظومة أبعاد منظومة المحتوى، فى الشكل التالى:

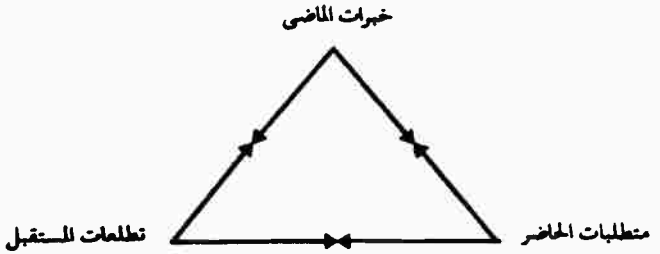

شكل (١)

منظومة محتوى المادة الدراسية

ومنظومة محتوى المادة الدراسية هى منظومة فرعية من منظومة المنهج، التى تتكون من عناصر أربعة، يوضحها الشكل التالى :

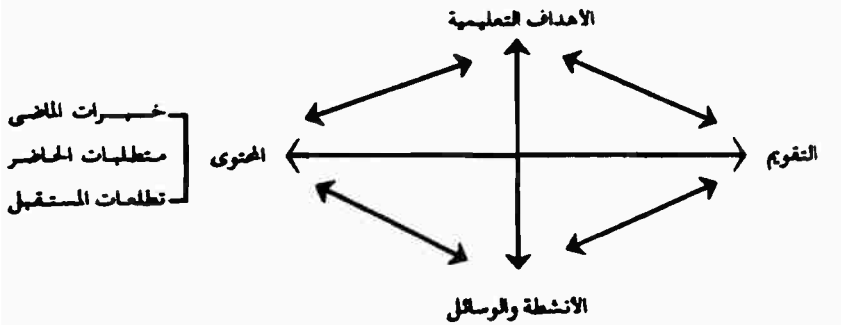

شكل (٢)

منظومة المنهج

ومن منطلق الشرح المختصر للأبعاد التالية :

* الأهداف التعليمية: أهداف قريبة المدى – أهداف بعيدة المدى
* الأنشطة والوسائل: وسائل تقليدية – تقنيات حديثة.
* التقويم : تتابعى – نهائى.

يمكن أن تكون منظومة المنهج فى الشكل التالى :

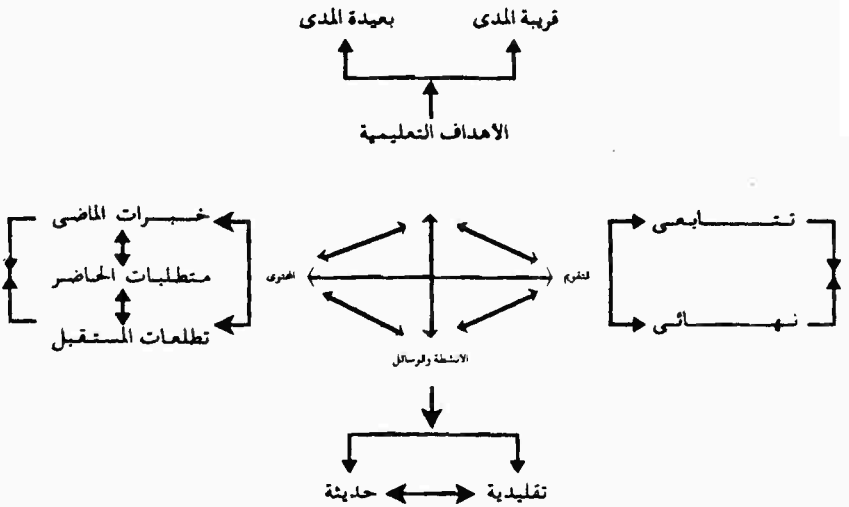

شكل (٣) : منظومة المنهج فى صورتها الشاملة

ولكى تحقق منظومة المنهج فاعليتها، يجب أن تكون فى علاقة تبادلية التأثير بمنظومة المناخ المدرسى، حيث تكون هاتين المنظومتين فى ظل علاقة التأثير والتأثر التى تحكمهما، منظومة التعليم المدرسى، كما يوضح ذلك الشكل التالى :

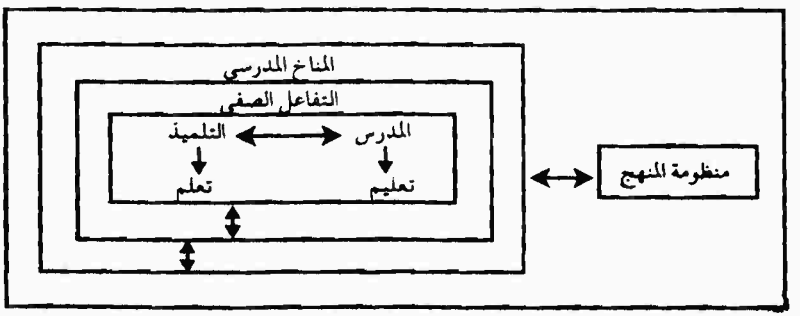

شكل (٤) : منظومة التعليم المدرسى

ويظهر الشكل (٤) أن نطاق منظومة التعليم المدرسى يتضمن العناصر التالية (أى أن العناصر التالية تقع تحت مظلة المنظومة المعنية) :

- **العامل البشرى:** المدرس والتلميذ.
- **العامل التقنى:** الوسائل والتكنولوجيا التعليمية.

* العامل الإدارى : اللوائح والقوانين المنظمة للعمل داخل الفصل وفى المدرسة.
* العامل التخطيطى : الأهداف التعليمية.
* العامل التعليمى / التعلمى : أركان المحتوى.
* العامل التقييمى: الاختبارات والامتحانات

وقبل التطرق لتأثيرات وتفاعلات العوامل السابقة بالنسبة لمقابلة الصدمات المتوقع حدوثها مستقبلاً، بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، يجدر الإشارة إلى أن عالم الغد المزعج والمالم والمضطرب يندفع نحونا بمعدل متزايد السرعة. وقد ظهرت تباشير تؤكد ذلك الأمر، سواء أكانت من الناحية العسكرية، أم الإقتصادية، أم العلمية، . .إلخ. فعلى سبيل المثال، بسبب أحداث ١١ سبتمبر، حدثت هزة إقتصادية فى البورصات العالمية، ومن المتوقع حدوث هزات أخرى، فى أسواق المال، فى المستقبل القريب. أيضًا، حدث إعادة توزيع لمراكز القوى العسكرية على مستوى العالم، حيث تحركت الجيوش وتمركزت بصفة أساسية، فى مناطق جغرافية جديدة لم تكن موجودة فيها من قبل، بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

وبعامة، إذا كان المستقبل يقبل علينا، وبتدخلنا أو دونه، ستتغير حياتنا بدرجة ما، فإنه بعد حدوث أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، من المتوقع أن يعانى الإنسان فى أى مكان من صدمات وصدمات، لعل من أبسطها، ما يلى:

- فرض قيم سلبية مقصودة على الإنسان (قد تكون معنوية أو مادية).
- عجز الإنسان عن استثمار استشرافات المستقبل وفقًا لإرادته، وتحقيقًا لمصلحته.
- افتقار المناشط الإنسانية للمتعة والجمال، مما يجعل الإنسان يعيش فى قلق وحيرة، وقد يسهم ذلك فى تلبد وتبلد مشاعر الإنسان.
- وضع حدود لحرية الإنسان.
- مواجهة خبرات حياتية صعبة، سواء أكان ذلك على مستوى الأسرة، أم العمل.
- حدوث ثورة معلوماتية هائلة، قد تكون تأثيراتها سلبية على فكر وتفكير الإنسان.

تأسيسًا على ما تقدم، يمكن تحديد دور منظومة التعليم المدرسى - بإيجاز - فى مقابلة صدمات المستقبل آنفة الذكر، فى الآتى:

(١) تأكيد أهمية لقاء الحضارات والتنوع الثقافى.

(٢) إبراز دلالة لفظتى: التراث والتقاليد، ودورهما الفاعل فى تحقيق الهوية الذاتية.

(٣) تشجيع الجهود الخاصة والعامة، أو المحلية والعالمية، التى تقاوم عمليات التطرف والإرهاب.

(٤) رفض معيار القوة المهيمنة الواحدة، وقبول المعايير القانونية والسياسية والأخلاقية، التى تحكم وتتحكم فى العلاقات بين الأفراد أو الدول، على حد سواء.

(٥) إظهار أهمية توزيع الأدوار بعدالة، ضمانًا لتحقيق الأمن والأمان، سواء أكان ذلك على مستوى الأفراد، أم الدول.

(٦) تحقيق الرعاية الثقافية، التى تسهم فى تحقيق المقاصد الإنسانية النبيلة.

(٧) تأكيد الإدارة المجتمعية، دون الإقلال من شأن ودور الفرد.

(٨) إتباع المنهج العلمى، الذى يسهم فى تحقيق إبداعات العقل الإنسانى.

(٩) تكافؤ فرص العمل، بحيث تكون الكفاءة والجودة هما أساس الاختيار، عند المفاضلة بين الأفراد، أو الجماعات، أو المؤسسات.

(١٠) رفض فكرة الحروب كأساس لحل المشكلات الفردية، أو المحلية، أو الدولية.

(١١) وضع حدود قاطعة ونهائية لهيمنة الآلة على الإنسان.

(١٢) اتباع التفكير العلمى فى حل المشكلات.

وللأمانة نقول، إن ما قدمناه فيما سبق، مجرد رؤوس لموضوعات، تحتاج دراسة كل منها، لبحث مستقل بذاته. وعليه، يمكن أن تتحمل بحوث تالية هذه المسئولية، بحيث تقدم خطوات إجرائية تفصيلية.

خلاصة القول :

أبرز الحديث السابق أن العالم يعيش فى أزمة حقيقية، بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، قد تكون نتيجتها مجموعة من الصدمات، التى بدأت تظهر تباشيرها فى وقتنا الحالى، والتى سوف تتأكد فى المستقبل القريب. ولهذا يجب أن تسهم منظومة التعليم المدرسى (بعواملها : البشرية، والتقنية، والإدارية، والتخطيطية، والتعليمية / التعلمية، والتقيمية)، فى مقابلة تلك الصدمات. وإذا كان الحديث السابق قد أعطى بعض الخطوط العريضة فى هذا الشأن، فالأمر بالنسبة لإبراز دور منظومة التعليم المدرسى فى مقابلة قضية صدمات المستقبل المتوقعة، يحتاج للمزيد من الدراسات والبحوث، فى شتى الميادين.

المراجع

إعتمد الباحث فى إعداد هذه الورقة البحثية على :

(١) مجدى عزيز إبراهيم، **المنهج التربوى وتحديات العصر**، القاهرة : عالم الكتب، ٢٠٠٢.

(٢) مجموعة مقالات منشورة فى جريدة الأهرام (مرتبة حسب حداثة تاريخ النشر)، وهى :

* سامى خشبة، « التراث والتغيير الاجتماعى : لماذا استبدل الغرب (الثقافة) بـ(التراث)؟!»، ٢٨/٦/٢٠٠٢.
* أمل سعد، « العلم .. بين الإنسان والآلة»، ١٠/٦/٢٠٠٢.
* هدى الشناوى، « المنهج العلمى والإبداعى فى التفكير .. سبيلنا للمستقبل»، ٩/٦/٢٠٠٢.
* محمد رؤوف حامد، « العرب ورأس المال الذهنى والعولمة : بدلاً من مخاطر التهميش والتفتت»، ٢٩/٥/٢٠٠٢.
* السيد يسين، « استجابة المثقفين فى العالم»، ٢٣/٥/٢٠٠٢.
* مرسى عطا الله، « ضرورة مراجعة الوسائل حتى تمر العاصفة!»، ٢٣/٥/٢٠٠٢.
* طه عبد العليم طه، « الأمن القومى فى عصر العولمة»، ١٧/٥/٢٠٠٢.
* السيد يسين، « إعلاء للقيم أم دفع عن المصالح؟»، ١٦/٥/٢٠٠٢.
* يمنى طريف الخولى، « الثقافة العلمية من المنظور الفلسفى»، ٢٤/١٢/٢٠٠١.
* فاروق جويدة، « حول الثقافة .. والمثقفين»، ٥/٨/٢٠٠١.

الفصل السابع

دور الثقافة العلمية والتقانية في تنمية مخرجات منظومة التعليم بما يتوافق مع متطلبات عصر العولمة*

- تمهيد
- المقصود بالثقافة العلمية والتقانية.
- منظومة التعليم في ضوء متطلبات عصر العولمة.
- دور الثقافة العلمية والتقانية في تنمية مخرجات منظومة التعليم، بما يتوافق مع متطلبات عصر العولمة.

* ورقة بحثية مقدمة إلى ندوة «الثقافة العلمية والتقانية في الوطن العربي» (أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا، واتحاد مجالس البحث العلمي)، ٢٨ - ٣٠ / ١٢ / ٢٠٠٢.

تمهيد:

بادئ ذى بدء، يجدر الإشارة إلى أن واحدة من أهم عناصر القوة، هي ما سماه عميد جامعة هارفارد الدكتور **جوزيف ناى** «القدرة الناعمة للدولة»، هذه القدرة الناعمة تعتمد على الإنتاج العقلى والفكرى للبشر، هى الثقافة المفيدة [1].

ومن وجهة نظرنا، إذا ارتبطت الثقافة بصفتى : العلمية والتقانية، فإنها تمثل قدرة هائلة فى نعومتها، بالنسبة للإبداع والتكيف مع ظروف عصر العولمة، كما تمثل الأساس الطبيعى لمقابلة تحديات العصر ومتغيراته ومتطلباته، وخاصة إذا استهدفت الثقافة العلمية والتقانية تنمية منظومة التعليم.

وقد يقول قائل : «إن الحديث السابق سهل ومتداول، ولكن من الصعب بمكانة تحقيقه إجرائياً».

هذا صحيح، لذلك يوجه هذا الحديث جل اهتمامه نحو محاولة التصدى لدور الثقافة العلمية والتقانية فى تنمية منظومة التعليم، بما يتوافق مع متطلبات عصر العولمة، من خلال دراسة الموضوعات التالية :

* المقصود بالثقافة العلمية والتقانية.
* منظومة التعليم، فى ضوء متطلبات عصر العولمة.
* دور الثقافة العلمية والتقانية فى تنمية مخرجات منظومة التعليم، بما يتوافق مع متطلبات عصر العولمة.

وفيما يلى شرح موجز للموضوعات الثلاثة السابقة :

أولاً : المقصود بالثقافة العلمية والتقانية :

يعبر العلم عن وجود الإنسان وحضوره، في هذا الكون، لذلك يمثل العلم جانبًا مهمًا من جوانب الحضارة الإنسانية. ومن هنا، فإن الوعى الشامل بالعلم كظاهرة إنسانية، لهو إنعكاس لمدى تفعيل ثقافة فلسفة العلم ذاتها.

تأسيسًا على ما تقدم، يكون للثقافة العلمية دورها الفاعل فى تأصيل وتوطين عوامل التنهيض والتنمية المرجوة، وفى الوعى الشامل بظاهرة العلم نفسها [2].

والسؤال : ما المقصود بالثقافة العلمية ؟

في دراسة عنوانها : «المنهج التربوى وتأصيل الثقافة العلمية»، حدد الكاتب تعريفًا للثقافة العلمية، هو :

الراسب المتبقى فى عقول ووجدان الأفراد المهتمين بالعلم النظرى والتطبيقى، بحيث يتضمن هذا الراسب شتى ألوان المعرفة العلمية، والفنون، والآداب، وأساليب الحياة، وحقوق البشر الأساسية، والقيم الخاصة بالانتماء والتقاليد والأعراف والمعتقدات، وبحيث يعكس هذا الراسب الخبرات والتجارب السابقة، والخلاصة الحية لمنجزات الماضي والحاضر. ومن خلال هذا الترسيب، يكون الفرد على وعى وإدراك كاملين بموضوعات بعينها [٣].

وبعد أن قدمنا تعريفاً للثقافة العلمية، تكون الخطوة التالية تحديد ماهية الثقافة العلمية والتقانية، مع مراعاة أننا لا نفصل الجانب العلمى عن الجانب التقنى، عند تحديد ماهية الثقافة العلمية والتقانية، لأننا لو فصلنا كل جانب عن الآخر، فسوف نتحدث عن الثقافة العلمية بمعزل عن الثقافة التقانية، وبذلك يكون لدينا ثقافتين، وذلك لا يتفق مع هدف الدراسة الحالية، الذى يقوم على أساس وجود ثقافة واحدة، لها جانبين : العلمى والتقنى.

وفى هذا الصدد، نشير إلى مفهوم التكنولوجيا على أنها : « مجموعة المعارف والمهارات التى تمكن من إنتاج سلعة عادية أو خدمة. وتتضمن المعارف والمبادئ الأساسية للعلوم، بما تحويه من قوانين الطبيعة والعلاقات الإمبريقية، وكذلك الأساليب الفنية والهندسية اللازمة للتطبيق. وتتأثر المعرفة بالمستوى العالمى المعاصر، وتتغير بما يحمله المستقبل من احتمالات الاكتشافات العلمية الكامنة فى الخليقة. أما المهارة، فتتوقف على الحافز الشخصى للفرد لرفع وتنمية قدراته المهارية.

والتكنولوجيا بصفة عامة تنصب فى النهاية على الدراية الفنية (Know how). إن تعريف مُعدّة ما لا تدخل ضمن الاستحواذ على التكنولوجيا. وبذلك، فإن استيراد معدات حديثة أو تسليم مفتاح مصنع لا يعنى إلا شيئاً واحداً، وهو استخدام معدات حديثة، هى تكنولوجيا ابتكرت فى مكان آخر. وتتضمن أى سلعة قدراً من التكنولوجيا فى صورة المعارف والمهارات، التى استخدمت فى انتاجها، وكلما زاد هذا القدر ارتفعت السلعة وارتفع ثمنها. وتسمى السلع كثيفة التكنولوجيا بسلع التكنولوجيا الرفيعة (high tech) [٤].

ومما هو جدير بالذكر إن التكنولوجيا – التى تتمثل فى نمط الإنتاج الصناعى رفيع المستوى، كما أوضحنا من قبل – صاحبها (بدءاً من الإلهام والتمهيد، ثم المعايشة والتنفيذ) نشاطاً فكرياً، « يقوم فى جوهره على العقل غالباً كمتصل، ويؤسس لرؤية حداثية ترى الذات الفردية فى مركز الوجود، وتشعر أنها مهيمنة على أشكاله من حولها، وتحس فيها القدرة على إعادة صياغته اجتماعياً وسياسياً، بعد أن زادت معارفها وقدراتها

على التحكم النسبى مادته الطبيعية عبر اكتشاف متزايد لقوانينها، وحركة حثيثة وناجحة لفهم منطقها» (٥).

ولكن، هل يعنى الحديث السابق أهمية أن يفهم المثقف دقائق التكنولوجيا وآلياتها؟!.

يجيب (**يحيى الرخاوى**) عن السؤال السابق بطريقة مباشرة، عندما يقول :

«إنه لايكفى حتى أن يكون أى واحد مثقفاً أن يعرف شيئاً عن كل شىء، بل إنه لم يعد يصح أيضاً أن نعتبر من يستوعب جُماع وعى ناسه دون مسئولية أو تحريك أو إضافة هو المثقف الذى يمثلهم. إن هذه المراجعة الحالية هى بمنزلة دعوة لكل الناس، وبالذات للصفوة الفخورة بمعلوماتها ومعارفها، المتميزة بإنجازاتها وإضافاتها، لإعادة النظر فى موقفها» (٦).

إذاً، ليس من الضرورى أن يتمكن المثقف من دقائق التكنولوجيا وآلياتها، ولكن يجب عليه – فى الوقت نفسه – أن يكون على دراية كاملة باحوال التكنولوجيا من حيث هويتها : أهى محلية أم مستوردة؟، ومن حيث دورها فى التقدم العلمى والمهنى والاقتصادى... إلخ، ومن حيث مدى تمكن المهندسين والفنيين من استخدامها لإختراع تكنولوجيا أحدث، ومن حيث سيادتها أو عدم سيادتها على وسائل الإنتاج الاخرى.... إلخ.

تأسيساً على ما تقدم :

الثقافة العلمية والتقانية، لا تعنى فقط الراسب المتبقى فى عقول الأفراد المهتمين بالعلم النظرى والتطبيقى فقط، بل تعنى أيضا المكتسب من خبرات تعتمد على العلم والتكنولوجيا آنيا، بحيث تكون هذه الخبرات : علمية، أو اقتصادية، أو سياسية، أو فنية، أو اجتماعية، أو صحية، أو إعلامية... إلخ. وسواء عبرت الثقافة العلمية والتقانية عن الراسب أو المكتسب، فإنها تعتمد على نشاط فكرى، يقوم على آليات العقل، التى تعمل على تفعيل أدوار يمكن تحقيقها، من خلال ذلك الراسب أو المكتسب، بما يواكب ظروف العصر، ويتوافق مع متطلباته.

فى ضوء ما تقدم، فإن تعريف الثقافة العلمية والتقانية، يمكن أن تشير إلى أهمية تحقيق الآتى :

– معرفة كينونة أدوات حقيقية لإكتساب الثقافة العلمية والعملية، دون النظر إلى تلك الأدوات من حيث : الشكل والإبهار.

- قراءة ما بين السطور، أو استقراء الأحداث، قد يعبر عن قضايا خفية أكثر أهمية، مقارنة بالمضمون الشكلى الواضح والصريح.

- أولية التدريب على الأدوات التكنولوجية، التى تسهم فى تفعيل الفكر.

- استخدام مناهج علمية لاكتساب الثقافة النظرية والعملية، تتلاءم مع محددات فكرية، وتتوافق مع منطلقات اجتماعية وسياسية واقتصادية، تخدم محاور وأهداف التنمية الإنسانية.

- مراعاة الجانب القيمى عند اكتساب الثقافة العلمية والعملية.

- الثقافة العلمية والعملية تفقد قيمتها وأهميتها، إذا كانت مجرد تحصيل حاصل، دون اهتمام بتفجير دوافع الفرد للإبداع.

- العقل الإنسانى قادر على تخطى ظروف المكان والزمان، فى ظل الظروف المناسبة للإبداع، والمواتية للإنجاز بكفاءة.

- امتلاك الفرد لنوازع داخلية، وتوجهات خارجية، تساعده على تكوين بعض المعارف والتصورات، التى تسهم فى تنمية معارفه العقلية وخبراته التجريبية.

ثانياً : منظومة التعليم فى ضوء متطلبات عصر العولمة :

يحدد (**إبراهيم نافع**) جوانب المقياس، الذى أساسه يمكن الحكم على مدى «عولمة» دولة ما، ومدى استفادتها من العولمة، فى الآتى [٧] :

* ثقل هذه الدولة على النطاق العالمى - مقيساً بحجم ناتجها القومى الإجمالى، وما إذا كانت دولة من الدول التى تسمى «الرأس» أو دول «الجسم» ؛ بمعنى ما إذا كانت تحدد مسار الآخرين وتسبقهم، أو أن الآخرين يحددون مسارها وتتبعهم.

* مدى إنفتاح هذه الدولة على العالم، وحجم تجارتها - تصديراً واستيراداً - وحجم معاملاتها المالية واستثمارتها فى الخارج من جانب، واستثمارات الأجانب داخل أراضيها من جانب آخر.

* وزن عملتها، وحجم استخدامها - أداة للتبادل - فى المعاملات والصفقات الدولية، وكأداة «لربط» عملات الآخرين بها، بما يكفل لهم استقرار عملاتهم ومدى استخدامها «كمرساة» وسند لعملات الدول الأخرى، واستعمالها فى تسوية الحسابات والمعاملات الدولية، بل «وكمخزن للقيم» وللإدخار، وللوقاية من تدهور قيمة النقود، بل وفى الرهان على ارتفاع قيمتها - قياساً بعملات أخرى - ومن ثم تحقيق مكاسب تهبط من السماء على غير انتظام.

* مستوى التزامها بترتيبات واتفاقيات العولمة ومؤسساتها.

وهكذا يربط (إبراهيم نافع) مقياس الحكم على «عولمة» دولة ما، على أساس اقتصادى بحت، دون النظر إلى أية جوانب أخرى.

ويشير (السعيد ياسين) إلى أن قضية العولمة قد تمت مناقشتها، في مؤتمر (فلنيوس) فى عام ٢٠٠٠، حيث انقسم المؤتمر إلى ورش العمل الستة التالية :

- المعرفة المتبادلة والتفاعل.
- العولمة والتنوع الثقافى.
- الهويات المتعددة والقيم المشتركة.
- التجارة والعلم والمبادلات الثقافية.
- مسألة الآخر.
- مفاهيم الحضارة فى القرن الحادى والعشرين [٨].

ومما هو جدير بالذكر أن الكاتب قد ناقش العولمة فى كتابات سابقة، حيث حدد مرتكزات عصر العولمة، وفق الأسس التالية :

المعلوماتية، قبول الآخر، ثقافة المستقبل، التطور الحضارى، الحرية، الديمقراطية، التنمية البشرية، التفكير الإبداعى، الفكر الجديد والمتجدد، والمواطنة على المستويين : المحلى والعالمى[٩].

تأسيساً على ماسبق ذكره، حدد الكاتب متطلبات عصر العولمة، فى الآتى :

- المعارف والتكنولوجيا التى تساعد على مواصلة الدراسة مدى الحياة.
- جوانب الثقافة الإنسانية التى تبرز الجهود المتواصلة، التى تمت من أجل سعادة، ورفاهية، وأمن وأمان الإنسان، في كل مكان وزمان.
- الخبرات العلمية والمعيشية، التى تساعد على حل المشكلات الحياتية الحالية. وكذا المستقبلية المتوقع حدوثها فى أى مكان.
- الأنشطة الترويحية التى تكسب الإنسان الصفاء الذهنى والسلام الداخلى، سواء أكان الإنسان يعيش فى دولة غنية أم دولة فقيرة.
- الفكر الإنسانى العالمى الذى أسهم فى تحقيق التقدم والحضارة لكل الشعوب، بلا إستثناء.

- أصول وقواعد لعبة الاقتصاد العالمي، وتأثيرها على العلاقات الدولية والمحلية على السواء، من خلال إبراز أهمية التكامل والتنمية الاقتصادية لجميع دول العالم.
- الإعلام كقوة لها تأثير قوى على اختيارات الإنسان، وتوجيه اتجاهاته.
- القوى التى تحكم وتتحكم فى تحديد السياسات الدولية.

ويمكن تمثيل منظومة التعليم في ضوء متطلبات عصر العولمة آنفة الذكر، فى الشكل التالى(١) ،

حيث يبرز هذا الشكل العلاقة تبادلية التأثير بين الجانبين : الإنسانى والمادى، إذ دون تحقيق تفاعل كامل ومتكامل بينهما، فإن منظومة التعليم تفشل فى أخذ متطلبات عصر العولمة فى حساباتها، عند تحديد خطط التعليم، لأن أى جانب من الجانبين السابقين، مهما كان مستوى كفاءته لايحقق أهدافه، إذا عمل بمعزل عن الجانب الآخر.

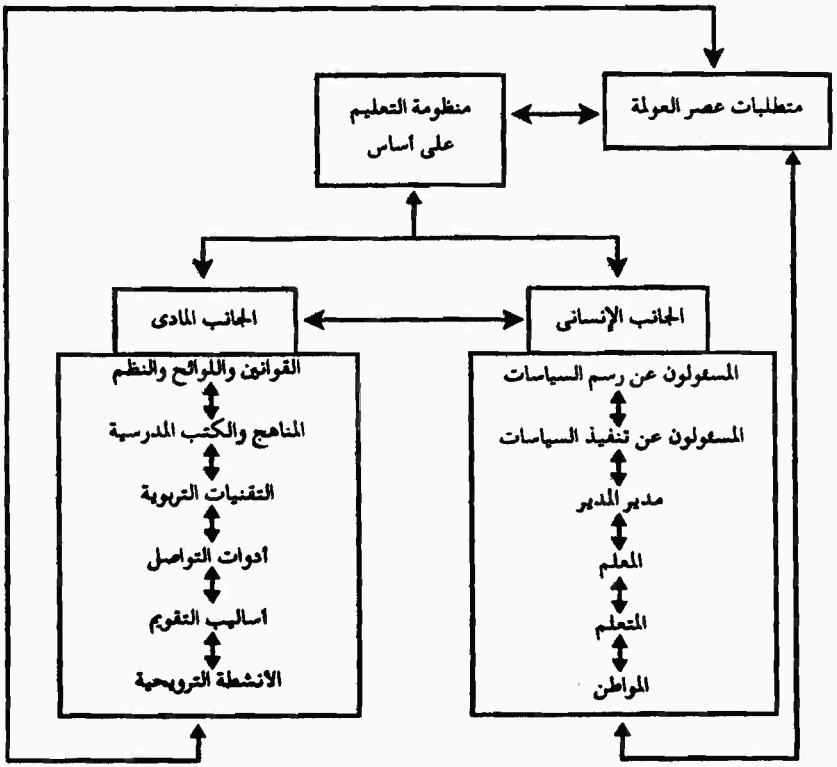

شكل (١) : منظومة التعليم في ضوء متطلبات عصر العولمة .

وجدير بالذكر إن التفاعل بين الجانبين : الإنسانى والمادى، يجب أن تكون الديمقراطية نهجه وسبيله. ففى عصر العولمة، حيث تؤكد المواثيق الدولية مبدأ احترام حقوق الإنسان، يجب أن تكون الديمقراطية السبيل لتحديد جوانب الجانب المادى، وأن تكون الأساس للتعامل مع الجانب الإنسانى. إننا نعيش فى عصر السموات المفتوحة، حيث يستطيع المتعلم بكل سهولة – إذا أراد – أن يتعلم بعيداً عن المدرسة، وخاصة إذا وجد أن القوانين واللوائح والنظم التى تنظم طبيعة العمل فى المدرسة، لاتناسبه، لأنها تتسم بالشمولية. وأيضا، إذا وجد من المسئولين عن التعليم – أيا كانت مراكزهم – عدم احترام لإنسانيته وكينونته، أو وجد عدم اهتمام بمطالبه واحتياجاته.

ثالثاً : دور الثقافة العلمية والتقانية فى تنمية مخرجات منظومة التعليم، بما يتوافق مع متطلبات عصر العولمة :

لدراسة هذا الموضوع، يجب أن تكون البداية تحديد مفهوم التنمية الإنسانية لارتباطها بمخرجات منظومة التعليم.

يمكن تعريف التنمية البشرية ببساطة بأنها: **عملية توسيع الخيارات، وبالتالى ينبغى أن توجه التنمية وتعمل من أجل توسيع نطاق خيارات كل إنسان فى جميع الميادين، وتعتمد عملية توسيع الخيارات الإنسانية على القدرات والفعاليات من جانب، والفرص المتاحة من جانب آخر، أى التنمية البشرية تتكون من معادلة طرفها الأيمن يتكون من القدرات الإنسانية، بينما يتكون طرفها الأيسر من الفرص الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الممكنة للإنسان من إعمال قدراته الإنسانيه** (١٠).

إذاً ينبغى أن تولى التنمية البشرية جل اهتمامها نحو قطاع الشباب، باعتباره من ناحية يمثل القسم الأوفر في أى مجتمع، وباعتبار أن الشباب هم الفاعلون Actors فى مستقبل التنمية. لذلك، من المهم ربط الأبعاد الكيفية لمنظومة التعليم بمفهوم التنمية البشرية، من منظور مدى توافق هذه المنظومة مع مستوجبات عصر العولمة. وهنا، قد نجد من الضرورى تقديم رؤية متكاملة لإصلاح التعليم فى جميع جوانبه، وإن كان الحديث هنا يقتصر –فقط– على دور الثقافة العلمية والتقانية فى تنمية منظومة التعليم.

وقبل الاستطراد فى تحليل منظومة التعليم، فى ضوء مفهوم التنمية البشرية نجد أن مصطلح التنمية المستدامة يطل علينا برأسه فارضاً نفسه بقوة، على أساس أن منظومة التعليم لايمكن أن يكون لها وجود حقيقى، دون تأكيد علاقتها الوثيقة بالبيئة، إذ إن التربية المستدامة شرط أساسى للتنمية البشرية.

ولكن : ما المقصود بالتنمية المستدامة؟

التنمية المستدامة : اصطلاح شاع استخدامه في تقرير لجنة الأمم المتحدة للبيئة والتنمية (U N Commision for Environment and Development) التى رأستها (جرو هارلم برونتلاند Gro Harlem Brundtland) رئيسة وزراء النرويج السابقة، التى أصدرت تقريرها المعنون «مستقبلنا المشترك» (Our Common Future). وصاغ التقرير هذا المفهوم ببساطة، حيث ينص : **«إن التنمية المستدامة هى توفير احتياجات الأجيال الراهنة من دون حرمان الأجيال القادمة من حقها فى الحصول على احتياجاتها»**[١١].

ونلاحظ مما تقدم، إن الإنسان يمثل الاهتمام المشترك لكل من التنمية البشرية والتنمية المستدامة، وإن كانت الأخيرة تنظر بعين الاعتبار إلى احتياجات الأجيال القادمة، كما أنها ترتبط ارتباطاً مباشراً بالبيئة.

إذاً، على أساس أن الإنسان يمثل المردود الأساسى لعملية التنمية، أياً كان نوعها أو طبيعتها، فإنه يمثل فى الوقت نفسه المخرج الرئيس لمنظومة التعليم، وذلك ما يمثله الشكل التالى :

ويظهر الشكل السابق أن عمليات التعليم التى يتم إجراؤها على مدخلاته، لها مردودات على مستويين، أولهما : يمثل الخطوة الأولية فى بناء الإنسان فى ضوء متطلبات العصر وظروفه، وثانيهما : يمثل الخطوة النهائية فى بناء الإنسان فى ضوء مفهوم التنمية البشرية.

وقد يقول قائل : «إن الهدف النهائى لمنظومة التعليم هو الإنسان (المتعلم)، فلماذا تتضمن منظومة التعليم المستوى الأول للمخرجات؟».

قبل الإجابة عن السؤال السابق، دعنا أولا نقوم بتحديد عناصر منظومة التعليم فى ضوء مفهوم التنمية البشرية، ثم تشكيلها، وذلك ما يظهره الشكل (٢) التالى :

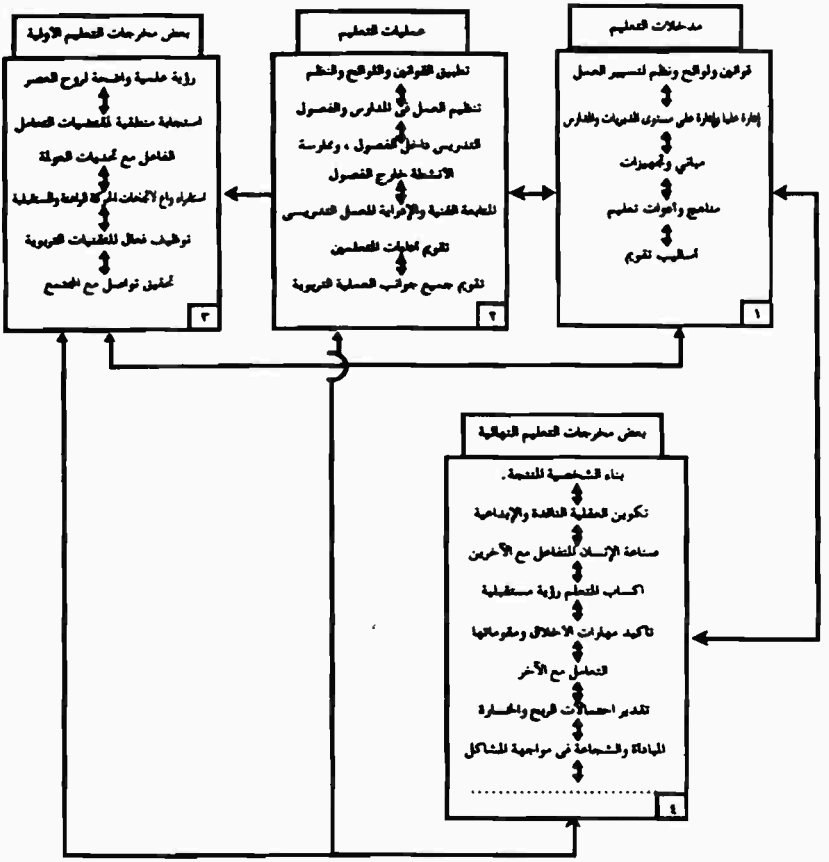

شكل (٢) : منظومة التعليم في ضوء مفهوم التنمية البشرية .

لقد تعمدنا إبراز المستوى الأول لمخرجات منظومة التعليم على أساس أن التعليم يحدث من خلال المدرسة، وهى المؤسسة النظامية، التى تتكفل أساساً بإعداد المتعلمين. وحيث أن المدرسة إحدى مؤسسات المجتمع، فإنها تتأثر بما يحدث فى المجتمع، وتمتد تأثيراتها إلى بقية المؤسسات الأخرى، إذ إن مؤسسات المجتمع يجب أن تعمل معاً وفق نسق منظومى. ناهيك عن أن المخرجات على المستوى الأول بمثابة الأساس لإعداد الإنسان الذى لديه الكفاءة فى التعامل مع ظروف عصر العولمة، والذى يستطيع أن يواكب هذا العصر.

وبعد أن حددنا بعض المخرجات النهائية لمنظومة التعليم، نتطرق إلى دور الثقافة العلمية والتقانية فى تنمية تلك المخرجات، وذلك على النحو التالى :

(١) بالنسبة للشخصية المنتجة :

فى هذا الصدد، يجب أن تدعم الثقافة العلمية والتقانية المدرسة، لتكون مدرسة منتجة، وفق الأسس التالية :

- عدم التمييز التقليدى بين العمل العقلى والعمل اليدوى، العمل الإدارى والعمل التسويقى.
- تأكيد الارتباط المتزايد بين التعليم والعمل الإنتاجى، لتكون المدرسة أشد ارتباطاً وتفاعلاً واندماجاً مع مواقع العمل والإنتاج.
- تبنى نماذج وصيغ تعليمية جديدة، يتم بموجبها تحويل حياة الإنسان إلى عملية متصلة متداخلة متبادلة بين الدراسة والعمل المنتج.
- إرساء نظرة جديدة لدور المدرسة فى المجتمع، وعلاقة المجتمع بالمدرسة، بهدف تحقيق المشاركة الفاعلة بينهما.

فى ضوء الأسس التالية، يجب تحقيق الأهداف التالية، التى تسهم فى تحقيق الشخصية المنتجة :

- إيجاد آلية جديدة لتوفير فرص حقيقية لتدريب المتعلمين على أدوارهم المستقبلية.
- تدريب المتعلمين على فنون ومهارات الأعمال التجارية، كالتفاوض والتسويق ودراسات الجدوى والتعامل مع ديناميكيات العرض والطلب فى السوق وإدارة المشروعات الصغيرة.
- تكريس مفهوم التعلم بالعمل، وتحقيق الربط بين النظرية والتطبيق، وربط المناهج الدراسية باحتياجات البيئة والمجتمع.
- إكساب المتعلمين مهارات عصر المعلوماتية وقيمه، مثل : التخطيط والتنظيم، الدقة والأمانة، الصبر وتحمل المسئولية، تقدير العمل التعاونى والعمل ضمن فريق، الإنتاج والإدخار واحترام جهد الآخر، الحفاظ على البيئة والتعرف على إمكاناتها ومصادرها، المبادأة والشجاعة فى مواجهة الصعاب، الإبداع والإبتكار، التفكر فى العواقب والتحسب للاحتمالات المختلفة، وتقدير الربح والاستعداد لتقبل الخسارة [١٢].

(٢) بالنسبة لتكوين العقلية الناقدة والإبداعية :

فى ضوء متطلبات عصر العولمة، الذى يشهد إنفجاراً معلوماتياً رهيباً، يجب أن تسهم الثقافة المعرفية والتقانية فى تكون العقلية الناقدة والإبداعية عند المتعلم. ففى وسط

الزخم والفيض المعرفي، لايمكن للمتعلم ان يحدد مقصده تماماً، وان يضع حدوداً فاصلة دقيقة بين الصالح والطالح، وان تكون له رؤية مستقبلية فى ضوء المعلومات المتوافرة لديه، ... إلخ، دون ان تتكون لديه عقلية ناقدة وإبداعية. فمن خلال آليات النقد، يحدد المتعلم الأساسيات، ومن خلال النشاط العقلى الإبداعى، ينطلق لتحديد الأهداف.

فعلى سبيل المثال، يمكن للعمليات الناقدة والإبداعية ان تضع تصورات عقلانية وتبريرات شارحة أو موجهة للسلوك الاجتماعى، كذا جمع المعلومات وتنظيمها واستقراء دلالاتها، فى ضوء احتمالات التناسب أو التوافق السببى.

وكمثال آخر، لايمكن للعقل دون استخدام آلياته الناقدة والإبداعية قبول أهم إفرازات الثورة العلمية الهائلة، التى يشهدها العالم فى وقتنا الحالى، وهى طوفان استنساخ البشر.

(٣) إكساب المتعلم رؤية مستقبلية :

عندما تسهم الثورة العلمية والتقانية فى إبراز أبعاد المنهج العلمى فى التطوير، من حيث التحرك حسب الخطة الموضوعة بحذق وفهم للمتغيرات العالمية والظروف المحيطة، ومن حيث أهمية مشاركة المستويات والنوعيات الإنسانية بالجهد البناء فى عملية التصور للأحداث، فإنها بذلك تساعد المتعلم على إكتساب رؤية مستقبلية، تكون بمثابة أداة من أدوات صناعة المعلومات والمعرفة المتوقعة، كما تكون أداة مهمة لتحقيق ما يسمى "Zero - Error"، والذى يعنى إنعدام الخطأ بالنسبة للتوقعات المستقبلية.

وبعامة، تسهم الثقافة العلمية والتقانية فى إزالة الضباب، لتجعل أبعاد المستقبل واضحة وظاهرة، بدرجة كبيرة، أمام المتعلمين، فيدركون تأثير الثورة التكنولوجية، كذا تأثير قوة الإتصال الهائلة، سواء أكان ذلك على مستوى الحاضر أم المستقبل، وبذلك يستعد المتعلمون لمواجهة المتغيرات، التى قد تفرض عليهم فرضاً، ولمواكبة الوقائع غير المحتملة.

وجدير بالذكر أن الثقافة العلمية والتقنية لها دور كبير فى تأكيد دور «المدرسة العلمية»، التى عن طريقها يمكن تحقيق «الأمن الثقافى»، الذى عن طريقه يمكن التصدى للتحديات المستقبلية، التى قد تهدد الهوية الذاتية، بشتى تجلياتها (اللغوية والعلمية والاجتماعية).

وختاماً، نقول أن الثقافة العلمية والتقنية لها دورها المهم فى الدراسات المستقبلية، لذلك تسهم فى إكساب المتعلمين الوعى الإيجابى، والإيمان بقدرة الإرادة الإنسانية، فى صنع مستقبل مرغوب فيه، وصياغة أبعاده، وخاصة فى فترات التحول العظمى العالمية.

(٤) تأكيد مهارات الأخلاق ومقوماتها :

من المؤكد أنه في عصر العولمة، حيث سادت القيم المادية وتوحشت تأثيراتها، فإن الأخلاقيات تنحت جانباً أمام الطغيان المادى اللاأخلاقى في مجمله. وعليه، إن كان هناك أمل، لمحاولة إستنهاض الأخلاق من كبوتها من جديد، فذلك يتوقف على الدور المهم للثقافة العلمية والتقانية.

ويتجلى دور الثقافة العلمية والتقانية من خلال « المنهج الأخلاقى »، الذى عن طريقة يتعلم المتعلمون أخلاق الفرسان، في معاملتهم للآخرين، في السلم والحرب، على السواء. كما، يدركون أهمية الفوز في المباراة (المنافسة) أكثر من أهمية جائزة هذا الفوز، حتى تسود المعنويات بدلاً من الماديات، التى تفشت في الآونة الأخيرة [١٣].

وتتأكد مهارات الأخلاق ومقوماتها، من خلال الدعوة الجديدة لتفعيل دور « السلام الثقافى »، الذى يجب أن يؤكد أهمية الأمن، والإلتزام، والحرية، وحقوق الإنسان، والمعاملة على قدم المساواة مع الآخرين (المعاملة على أساس الند للند، دون أدنى ضغوط وسيطرة من قبل الآخرين)، .... إلخ، وبذلك يظهر الدور المهم والفاعل للثقافة العلمية والتقانية.

(٥) التعامل مع الآخر :

تنبثق أهمية احترام الآخر من أننا نعيش في عالم، لايستطيع الإنسان فيه أن يعيش بمعزل عن الآخرين. لذلك، فإن العلاقات مع الآخرين، مفروضة على الإنسان فرضاً، سواء رغب الإنسان أو رفض. فالإنسان، عليه أن يتعامل مع الآخرين عن قرب، في الشارع والعمل والنادى... إلخ، أو يتعامل معهم عن بعد، من خلال الإعلام المقروء والمسموع والمرئى.

وفى تعامل الإنسان مع الآخرين، قد لا تتوافق الآراء والتوجهات والاتجاهات والميول والاحتياجات... إلخ، ورغم ذلك، فلابد من وجود نقاط إلتقاء، حتى لا تحدث خلافات واختلافات، قد تصل إلى حد الكوارث، التى تؤدى بدورها إلى الدمار الشامل.

في ضوء ما تقدم، يظهر الدور المهم للثقافة العلمية والتقانية، في تغيير الذهنية التقليدية، التى تقوم على أساس : « مع أو ضد، صديق أو عدو »، إذ باتت مقاييس التعامل مع الآخر، تتوقف على المصالح المشتركة في المواقف. وبالتالى، فقد يلتقى الفرد فكرياً ومعنوياً ومادياً مع آخر، في موقف بعينه، بينما لايتحقق ذلك في موقف آخر مع الفرد نفسه.

لذلك، من خلال الثقافة العلمية والتقانية، يمكن للمتعلمين إكتساب أساسيات التعامل مع الآخر، مثل : الاحترام، والتعاون، والثقة، والعمل بجد وإجتهاد، ... إلخ.

(٦) تقدير احتمالات الربح والخسارة :

من المهم جداً، أن تبرز الثقافة العلمية والتقانية أن الحياة ليست مكسب على طول الخط، أو خسارة على طول الخط. ففى بعض المواقف، يكسب الفرد، وفى مواقف أخرى يخسر. المهم فى الموضوع، سواء أكان ذلك فى حالة المكسب أم الخسارة، تظل المبادئ والقيم ثابتة، لاتتزعزع. فالمكسب، يجب ألا يدعو الفرد إلى الفخر والتعالى على الآخرين، والحديث معهم من مركز قوة. أيضا، الخسارة، يجب ألا تدعو الفرد إلى الحقد والكراهية والغضب، وخاصة أن نواميس الحياة وقوانينها، تقر عدم استمرارية الخسارة بصفة دائمة.

إذاً، يجب أن تعمل الثقافة العلمية والتقانية جاهدة، من أجل إكساب المتعلمين، التفكير الجيد لتحقيق المكسب، وإعادة التفكير فى حالة حدوث الخسارة. فالتفكير وحده هو طريق إدارة الأزمات، وتجاوزها فى حالة حدوثها.

(٧) المبادأة والشجاعة فى مواجهة المشاكل :

تعرف **المشكلة** بأنها موقف يجابه الفرد، فيحاول أن يتجاوزه عن تقديم إفتراضات بعينها، يحاول تحقيقها. فإذا استطاع تحقيق ما تقدم، من خلال افتراض ما، يكون قد تجاوز المشكلة [١٤].

وفى ضوء المعضلات التى يموج بها العالم الآن، فإن المشكلات قد تفرض فرضاً على الفرد، وعليه أن يتعامل معها بذكاء وحنكة وفطنة. وحتى يتحقق ذلك، فإن الثقافة العلمية والتقانية يمكن أن تكون أحد الأساليب الفاعلة، فى هذا الشأن، إذ يمكن أن تبرز أن عمليات التغير (وأحياناً التغيير) قد صاحبها صراعات محمومة، فى أحيان كثيرة، ولكن بسبب غناء وثراء الحياة ذاتها بالتجارب والخبرات الإنسانية، استطاع الفرد أن يتجاوز تأثيرات تلك الصراعات.

أيضاً، فى ضوء القضية التى تشغل بال العالم حالياً، وهى : «هل مكتوب على البشرية أن تعيش وتتعايش فى ظل صراع الحضارات، أم على أساس التنوع الثقافى؟»، أصبح دور الثقافة العلمية والتقانية أمراً مهماً وضرورياً، لتأكيد لقاء الحضارات، مع أهمية احترام الهويات القومية. وحتى يتحقق الهدف السامى النبيل آنف الذكر، يجب أن تدعم الثقافة العلمية والتقانية المتعلمين، بما يساعدهم على تجاوز مرحلة الإنبهار

بالثقافة الغربية، وبما يؤكد أهمية التفاعل مع الثقافات الأخرى، في الوقت نفسه، دون التمسك بأهداب ثقافة بالية عتيقة، أصبحت لاتناسب العصر، وتقع خارج نطاق اهتماماته.

والسؤال الأخير في هذا الحديث، هو :

على من تقع مسئولية تحقيق أدوار الثقافة العلمية والتقانية؟

إن تحقيق الأدوار الموكولة للثقافة العلمية والتقانية، تقع على عاتق ومسئولية كل فرد، مهما كان مستواه العلمي أو الوظيفي أو الاجتماعي... إلخ، لذلك من الصعب أن نحدد جهة بعينها، دون بقية الجهات، وإن كانت المدرسة يقع عليها عبئاً بالنسبة للمتعلمين. لذلك، من المهم بمكانة أن يكون للثقافة العلمية والتقانية موضعها المناسب، في المواد الدراسية المقررة على المتعلمين.

المراجع

(١) مأمون فندى، «جامعات لا حضانات»، **جريدة الأهرام**، فى ٢٣/٨/٢٠٠٢.

(٢) يمنى طريف الخولى، «الثقافة العلمية من المنظور الفلسفى»، **جريدة الأهرام** فى ٢٤/١٢/٢٠٠١.

(٣) مجدى عزيز إبراهيم، «المنهج التربوى وتأصيل الثقافة العلمية»، المؤتمر القومى حول نمو وتأصيل الثقافة العلمية فى المجتمع (جامعة عين شمس : مركز تطوير تدريس العلوم، ٢٠ – ٢١ أكتوبر ٢٠٠١).

(٤) عبد الرازق عبد الفتاح، «العلم والتكنولوجيا فى مصر فى القرن ٢١»، فى :
– أسامة الباز (المحرر)، **مصر فى القرن ٢١.. الآمال والتحديات**، الطبعة الأولى، القاهرة : مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٦، ص ١٣٧.

(٥) صلاح سالم، «التكنولوجيا والثقافة السياسية فى مصر»، **جريدة الأهرام** فى ٢٩/٧/٢٠٠٢.

(٦) يحيى الرخاوى، «دور المثقف : مسئولية لا موسوعية»، **مجلة العربى** (الكويت)، العدد ٥٢٦، سبتمبر ٢٠٠٢، ص ١٨.

(٧) إبراهيم نافع، **إنفجار سبتمبر بين العولمة والأمركة**، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢، ص ٤٣.

(٨) السيد ياسين، **حوار الحضارات.. الغرب الكونى والشرق المتفرد**، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢، ص ص ٢١ – ٢٤.

(٩) مجدى عزيز إبراهيم، **المنهج التربوى العالمى.. أسس تصميم منهج تربوى فى ضوء التنوع الثقافى**، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠١.

(١٠) محمد شومان، «الإعلام والتنمية فى عصر العولمة»، **جريدة الأهرام** فى ٢/٩/٢٠٠٢.

(١١) أسامة الخولى، **البيئة وقضايا التنمية والتصنيع**، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٨٥، سبتمبر ٢٠٠٢، ص ١٧٣.

(١٢) سعيد أحمد سليمان، «الأبعاد التربوية والاقتصادية لمشروع المدرسة المنتجة»، **جريدة الأهرام** فى ١٦/٥/٢٠٠٢.

(١٣) مجدى عزيز إبراهيم، **تنظيمات حديثة للمناهج**، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٢.

(١٤) ———، **دراسات فى المنهج التربوى المعاصر**، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠١.

الفصل الثامن

منظومة تعليم الموهوبين فى عصر التميز والإبداع.. إلى أين؟! *

- تمهيد.
- سمات عصر التميز والإبداع.
- منظومة تعليم الموهوبين.
- منظومة تعليم الموهوبين فى عصر التميز والإبداع.. إلى أين؟
- خاتمة.

* ورقة بحثية مقدمة إلى كلية التربية بأسيوط "المؤتمر العلمى الخامس: تربية الموهوبين والمتفوقين للدخول إلى عصر التميز (١٤ - ١٥ ديسمبر ٢٠٠٢).

تمهيد:

من المعروف أن الموهوب شخص متمرد، لايقبل المألوف، ويعمل على تغييره جذرياً، أو تعديله جزئياً، لذلك قد يرى أن له حقوقاً غير نمطية، يجب أن لاتكون على نفس شكل أو نمط حقوق الناس العاديين.

وما تقدم، لايعنى أن الموهوب يطلب إمتيازات وحقوق شاذة، ولكن يعنى أنه يدرك قيمة نفسه كفرد يقدم مواهبه وإبداعاته وخبراته من أجل المجتمع، لذلك يجب إثابته بقدر ما يقدمه.

والسؤال :

كيف يكافئ المجتمع الفرد الموهوب ؟!.

إن الخطوة الأولى تتمثل فى رعاية الموهوب طفلاً، من خلال تعليمه التعليم، الذى يتناسب مع قدراته وإمكاناته الذهنية، وعن طريق تهيئة الظروف والإمكانات التى يستطيع الطفل أن يتعامل معها، فيفجر طاقاته الكامنة، ويستدعى ملكاته للعمل الخلاق.

فى ضوء ما تقدم، يركز هذا الحديث جل اهتمامه، نحو دراسة الموضوعات التالية:

* سمات عصر التميز والإبداع.
* منظومة تعليم الموهوبين.
* منظومة تعليم الموهوبين فى عصر التميز والإبداع.. إلى أين؟

وفيما يلى توضيح للموضوعات الثلاثة السابقة :

أولا : سمات عصر التميز والإبداع :

يمكن تصنيف أنماط مؤسسات عصر التميز والإبداع، وفق المعايير التالية[1] :

*** من منظور التوزيع الجغرافى :**

تمتد مؤسسات عصر التميز والإبداع، لتشمل عضوية من مختلف دول العالم، ومن مختلف القارات و الأقاليم (منظمة العفو الدولية، التحالف العالمى من أجل مشاركة المواطنين « سيفكس »، المنظمة الدولية للجهود التطوعية IAVE).

*** من المنظور القانونى والمؤسسى :**

ويمكن التمييز بين :

- شبكات عالمية، لها إطار مؤسسي مقنن وانتخابات واجراءات لقبول العضوية، لذلك لها نظام قانوني دقيق وغير مفتوحة للجميع.

- شبكات غير رسمية، مفتوحة لكل من يرغب في الإنضمام للنشاط وتحقيق الأهداف المعلنة، وليست لها اجراءات لقبول العضوية أو انتخابات أو شكل قانوني مؤسسي، لذلك لاتمتلك مكانة قانونية.

* **من المنظور الزمني (دائم ومؤقت) :**

ويرتبط هذا العامل بالمنظور القانوني أو المؤسسي، حيث يكون لبعض الشبكات العالمية صفة الدوام، والبعض الآخر ترتبط بحدث محدد أو هدف معين تحققه وتنقضي بعده.

* **من منظور الاحتواء أو الاقصاء :**

ويوجد نمطان من الشبكات العاملة في إطار عصر التميز والإبداع، وهما :

- ويركز الأول على نشطاء المجتمع المعنيين بقضية معينة، والنشيطين في مجال محدد، ويسعى لتطوير التراكم العلمي والمعرفي في مجال معين.

- والثاني مفتوح وأكثر مرونة، ويضم أهدافاً عريضة يصعب الاختلاف معها، ويهتم بتفعيل مشاركة الفرد، ويؤمن بالثقافة المدنية الديمقراطية، ويهتم بقضية التنمية البشرية.

* **من منظور الأهداف :**

يمكن أن نفرق بين النمطين التاليين :

- ويسعى الأول إلى الصالح العام أو المنفعة العامة، على المستوى العالمي، ومن نماذجه : المنظمات النشطة في مجال حقوق الإنسان والمرأة والطفولة والبيئة ودعم الديمقراطية والثقافة المدنية.

- ويستهدف الثاني صالح الأعضاء الذين يضمهم، وقد يمتد في اهتمامه إلى القضايا العامة المتصلة بذلك الهدف. ومن نماذجه : الاتحادات العمالية والتجارةالعالمية.

* **من منظور طبيعة العضوية :**

توجد مواقف وأشكال متنوعة من مؤسسات المجتمع العالمي، كما يوجد تعدد كبير في العضوية والنشاط والاستمرار وفي الإطار القانوني، بذلك تحدث فجوة كبيرة بين الإطار القانوني – على المستوى القانون الدولي – وبين الممارسة، مما يتطلب تجاوباً سريعاً مع التغيرات والتطورات التي لحقت بطبيعة عصر التميز والإبداع.

تأسيساً على ما تقدم، يشهد عصر التميز والإبداع تغيرات (وأحيانا تغييرات) متتابعة، فى الأدوار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمهنية، على المستوى العالمى. وعليه، يمكن تلخيص أدوار عصر التميز والإبداع، فى الآتى :

١- تعبئة الطاقات والإمكانات، على المستويين : المحلى والعالمى.

٢- تطوير بناء العلاقات بين الأطراف الفاعلين، على المستويين : المحلى والعالمى.

٣- بناء نظام اتصالى، تتعدد فيه الأطراف وتتنوع الثقافات.

٤- التأثير فى السياسات العامة والقضايا، من حيث المضمون وتوجهات السياسات محل الاهتمام عن طريق تهيئة المناخ المواتى لأفكارها.

٥- العمل كمراكز دعم لتطوير قدرات المجتمع، من خلال تدفق المعرفة، أو من خلال التدريب والبحوث وقواعد البيانات.

ومما هو جدير بالذكر إن متطلبات الدور العالمى لعصر التميز والإبداع، تتجاوز الأيديولوجيات، إذ إنها تنطلق من قيم مشتركة تعترف بالتنوع وتقبله، وتتحرك من أجل النفع العام، ومن أجل الإنسانية كهدف نهائى، مع مراعاة أن تلك المتطلبات لها جوانبها الإنسانية، والسياسية، والاجتماعية، والمعرفية، والثقافية، والمهنية، والتنموية المستدامة[٢].

وإذا كان التميز والإبداع قد ظهر منهما شذرات متفرقة، خلال عصور غابرة، فإن عصرالعولمة يؤكد الوجود الحقيقى للتميز والإبداع، إذ دونهما لايستطيع الفرد فهم وإدراك مكنونات العولمة وتجلياتها وتداعياتها. إذاً، لاغرابة فى القول إذا قلنا إن عصر العولمة لهو إنعكاس للتميز والإبداع، أو قلنا أن عصر التميز والإبداع هو المقابل الطبيعى لعصر العولمة، والذى يفسر آلياته أحياناً، ويؤكدها فى أحيان أخري، فى الوقت نفسه. وبالتالى، فإن عصر التميز والإبداع، أو إذا قلنا مجازاً عصر العولمة، لايعكس فقط مفاهيم نظرية مجردة، أو يعبر عن طوباويات ذهنية تفارق الواقع العيانى المعيش بدرجة كبيرة، وإنما يعكس أيضا مفاهيم نظرية، ويمتلك آليات تجسيدها عمليا فى آن واحد، كما يعبر عن نموذج واقعى فعلى تقوم دعاماته على آليات سياسية واقتصادية وثقافية وإتصالية.

إذاً، يشير عصرنا الحالى، وأعنى عصر التميز والإبداع، إلى قوة هائلة، استطاعت تحقيق عملية تغيير دراماتيكى كبرى، تحفر مجراها فى مسار التاريخ الإنسانى الراهن، ومن المتوقع أن يصاحب ذلك تغييرات مستقبلية، قد تؤثر على مصير البشرية.

إن عصر التميز والإبداع، الذى نشهده من حولنا، يمتلك أدوات هائلة التأثير، استطاعت أن تجعل الفرد يتعامل بوعى وذكاء مع عمليات التعدد والإمتداد المكانى لإحداثيات العمليات الاجتماعية، كما تمكنت من ولادة مجال جيو – ثقافى جديد، يسنده نظام ثقافى عالمى (٣).

إذاً، حتى يواكب الفرد عصر التميز والإبداع، يجب أن يكون لديه القدرة على النفاذ إلى القيم والمبادىء والعلوم والمعارف والثقافات الجديدة، ومن هنا تظهر أهمية منظومة التعليم. فبقدر قوتها وفاعليتها، يتمكن الفرد من التعلم بفهم وحذاقة. هذا عن دور المنظومة بالنسبة للتعليم بعامة، فماذا عن دور منظومة تعليم الموهوبين ؟

إن الإجابة عن السؤال السابق، تتطلب أولا تعريف منظومة تعليم الموهوبين، وتحديد أبعادها، وذلك ما يتحقق فى الحديث التالى.

ثانياً : منظومة تعليم الموهوبين :

بادىء ذى بدء، يجدر الإشارة إلى ما يقوله (**عبد الستار إبراهيم**) بالنسبة لدراسة القدرات الإبداعية :

« ومع ما للقدرات الإبداعية من أهمية، فإن دراستها ومعرفة شروط نموها والعوامل التى تيسر ظهورها، أو التى تعوق هذا الظهور مازالت محدودة بشكل مؤسف، فدراسة الموهبة الإبداعية مازالت متروكة لتيارين متطرفين من التفكير، يغرق أحدهما فى تعميمات نظرية فضفاضة، وهو التيار الذى تتبناه طائفة كبيرة من المفكرين والفلاسفة ونقاد الأدب والفن، وبعض المنتمين إلى نظريات التحليل النفسى الفرويدى المبكرة، أما التيار الآخرى فيغرق فى الاهتمام بجمع وقائع جزئية يتعذر فى كثير من الأحيان وضعها فى إطار متسق من التفكير والنظر » (٤).

وعلى الرغم من صعوبة دراسة القدرات الإبداعية، وفق ما أبان عنه الحديث السابق، فإن المبدع له سمات ومظاهر، مثل : خصوبة التفكير وسيولته، وتشكيل حالاته الذهنية والعقلية بطرق مختلفة، ووزن العمل وقيمته، والحساسية المرهفة، والقدرة على الإدراك الدقيق للثغرات والإحساس بالمشكلات وإثارتها، وإدراك الروابط الخفية بين الأشياء.. إلخ(٥).

وبعامة، يظهر الشكل التالى منظومة القدرة الإبداعية للفرد :

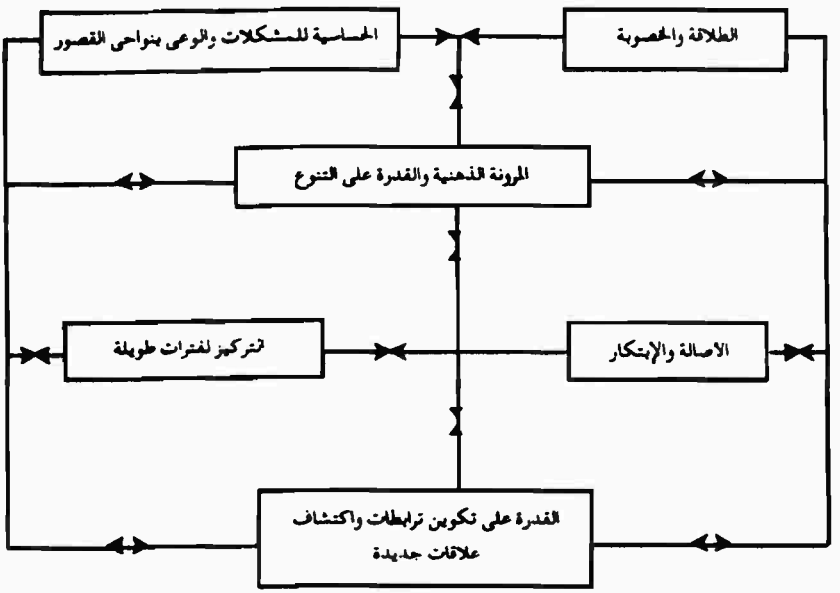

شكل (١) : منظومة القدرة الإبداعية للفرد الموهوب.

ويمكن تحقيق نظام تعليمى يعمل على تفجير طاقات الإبداع عند المتعلم، بأكثر من طريقة، منها على سبيل المثال :

* تدريس الإبداع فى برامج مستقلة.
* تعديل المناهج الدراسية وصياغتها إبداعياً.
* خلق مناخ اجتماعى تعليمى يشجع على إثارة القدرة الإبداعية.
* التوجيه العام لأساليب الإعلام، ونظم العلاقات الاجتماعية، بما يشجع على الإبداع.

وأياً كانت الطريقة، التى يتبعها النظام التعليمى، بهدف تحقيق الإبداع، يجب أن تعمل الطريقة على تدريب العقل على التفكير، والتأمل، والتحاور، مع الأخذ فى الاعتبار أن التفكير نشاط له جانبان ،هما : الاسترجاعى والإبداعى، وهما ضروريان فى مختلف مناشط الحياة.

تأسيساً على ما تقدم، يمكن القول بدرجة كبيرة عن الثقة أن منظومة تعليم الموهوبين لاتهمل الجانب الاسترجاعى للنشاط التفكيرى، كما يدعى البعض، وبذلك فإنها تؤكد ثقافة الذاكرة على نفس مستوى تأكيدها لثقافة الإبداع.

وعليه، يجب أن تصاغ البرامج الدراسية، بحيث تحقق الأهداف التالية :

- إنماء القدرات الإبداعية، وإتاحة الفرص المناسبة لظهورها وتفعليها.

- تنمية التحصيل، والمعرفة المجردة، والاسترجاع للحقائق المتراكمة.

وبذلك، تتحقق الحكمة فى تفعيل العقل عن طريق معرفة الفكر الجديد، بما يؤكد تثبيت الخبرات السابقة.

ويمكن أن تقوم منظومة تعليم الموهوبين على أساس التفاعلات تبادلية التأثير، بين عناصرها التالية، التى تعكس الأدوار التى يجب أن يقوم بها المعلم :

١- تشجيع المتعلم لتقديم أفكار إبداعية، بالنسبة للموضوعات التى يتعملها.

٢- تأكيد أهمية مشاركة المتعلم، وتشجيع تلقائيته التعبيرية.

٣- تنمية ثقة المتعلم فى إدراكاته الخاصة، وأفكاره الشخصية.

٤- إثارة قدرة المتعلم على الإحساس بالمشكلات، أى إثارة حب الاستطلاع، والرغبة فى التساؤل والبحث والاستفسار.

٥- إدراك المتعلم للجوانب الوظيفية والفوائد العملية للمعلومات، وارتباطها بالواقع الحياتى.

٦- تعريف المتعلم بالمفاهيم النظرية والقوانين وجوانب المعرفة المختلفة، فى المجالات الجديدة.

ويمثل الشكل التالى منظومة تعليم الموهوبين، فيما يختص بأدوار المعلم :

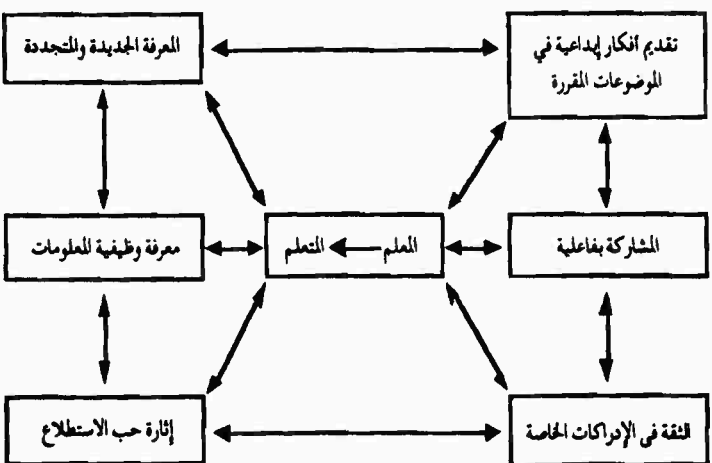

شكل (٢) : منظومة تعليم الموهوبين ، فيما يختص بأدوار المعلم

وفيما يخص أدوار المتعلم الذى لديه سمات وقدرات خاصة، تؤهله ليكون موهوباً، يمكن أن تقوم منظومة تعليم الموهوبين على أساس التفاعلات تبادلية التأثير، بين عناصرها التالية، التى تعكس الأدوار، التى يجب أن يقوم بها المتعلم: (٦).

١- الفكر، الذى عن طريقه ينشأ الوعى، الذى يعكس بدوره الإحساس والمعرفة بالذات، والكيانية الخاصة، والقدرة على التفكير العلمى فى شتى صوره.

٢- الإدراك، وهو العملية التى تنظم بواسطتها المستقبلات الحسية، وتتشكل فى خبرات ذات معنى، ويتضمن اليقظة والتحرى نحو المؤثر.

٣- الذاكرة، وتتكون من خلال تخزين المعلومات الواردة إلى الدماغ فى النظام الطرفى Limbic System فى القشرة الدماغية.

٤- التخيل : وهو النشاط العقلى الواعى المتضمن إثارة أفكار أو رؤى لأشياء وأحداث وعلاقات لم يتم اختبارها فعلياً من قبل.

٥- الإرادة، وقد لاتتجاوز حكم الغريزة والجينات فى الباطن، ولكنها تتحقق ضمن مجال من الوعى بالذات يجعل الإنسان يحس بأنه يمتلك حرية الاختيار على المدى البعيد.

ومما هو جدير بالذكر أن الأدوار آنفة الذكر لاتخص الموهوب فقط، إذ يمكن أن يقوم بها أى إنسان. ولكن ما يميز المتعلم الموهوب عن نظيره العادى، أن مستوى أداء الموهوب يتحقق بكفاءة، ويكون على مستوى متقدم، فى أغلب الأحوال.

ويمثل الشكل التالى منظومة تعليم الموهوبين، فيما يختص بأدوار المتعلم :

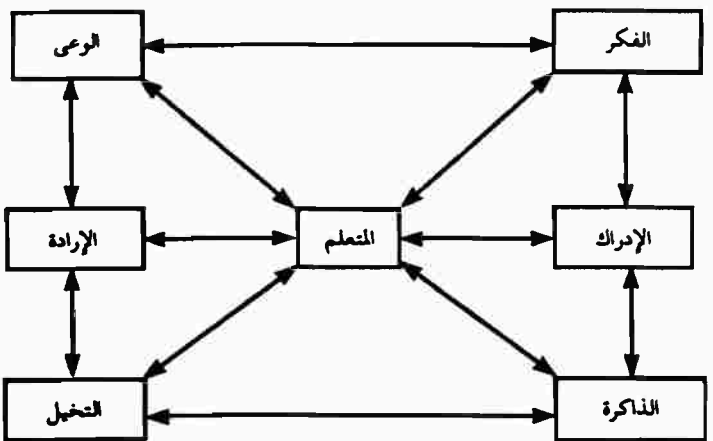

شكل (٣) : منظومة تعليم الموهوبين ، فيما يختص بأدوار المتعلم .

ويجدر الإشارة أنه فى شكل (٢) الخاص بمنظومة تعليم الموهوبين، فيما يختص بأدوار المعلم، يتجه السهم من المعلم إلى المتعلم، دون رجوعه من المتعلم إلى المعلم، وقد تعمدنا ذلك، لأن تحقيق علاقة تبادلية التأثير بين المعلم والمتعلم، تتوقف على تشكيل المناخ التربوى، الذى يسهم فى نمو القدرات الإبداعية عند المتعلمين.

وبالنسبة لتشكيل المناخ التربوى، فإنه يعتمد على :

- أسلوب إدارة المدرسة (ديمقراطى / شمولى).
- أسلوب إدارة الفصل (منفتح / منغلق).
- التفاعل الصفى بين المعلم والمتعلم (بدرجة : كبيرة / متوسطة / لايتحقق).
- أنماط التدريس (حديثة تعتمد على التعلم الذاتى / تقليدية تعتمد عى تلقين المعلم).
- أدوات التعليم (متوفرة / غير متوفرة، متطورة / نمطية).
- أساليب التقييم (جزئى / تراكمى).
- أسلوب التوجيه الفنى والإدارى (ديمقراطى / شمولى).
- أسلوب الاتصال الاجتماعى داخل المدرسة (يتحقق / لايتحقق).
- أسلوب الاتصال بمؤسسات المجتمع (يتحقق / لا يتحقق).

ويمكن أن تكون منظومة تعليم الموهوبين، فيما يختص بتشكيل المناخ التربوي، على النحو التالى :

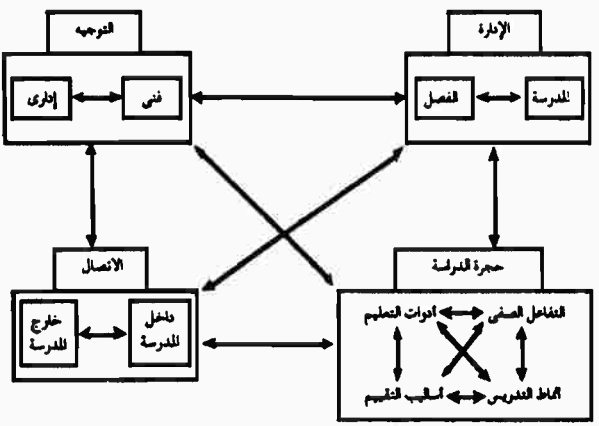

شكل (٤) : منظومة تعليم الموهوبين ، فيما يختص بتشكيل المناخ التربوى .

وفى ضـوء الأشكال : (٢)، (٣)، (٤)، يمكن تحـديد منظومـة تعليم الموهوبين فى شكلها العام، على النحو التالى :

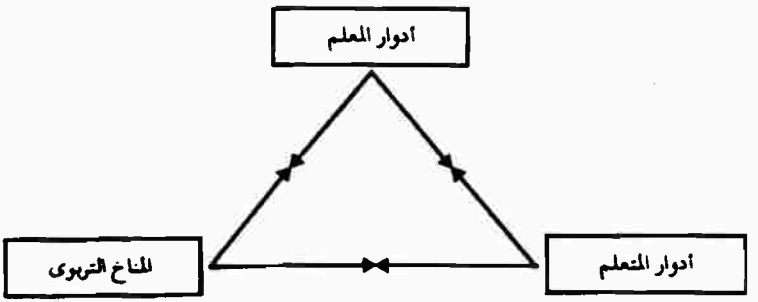

شكل (٥) : منظومة تعليم الموهوبين فى شكلها العام.

وقد يقول قائل أن منظومة تعليم الموهوبين، كـما جاءت فى شكل (٥)، هى منظومة التعليم فى شكلها العام، فما الجديد ؟!.

إذا كـان الشكل (٥) يعبـر عن منظومـة تعليم الموهوبين فى شـكلهـا العام، لكن ذلك لايعنى عدم النظر بعين الاعتبار إلى المنظومات الفرعية، كـما جاءت فى (٢)، (٣)، (٤)، ناهيك عما جاء فى شكل (١) الخاص بمنظومة القدرة الإبداعية للفرد الموهوب.

ونظراً لأهـمـيـة التـفـاعل الصـفى بين المعلم والمتعلم الموهوب، فإننا نتطرق إلى مصـفوفة ذلك التفاعل، على أساس الآتى :

* **المعلم :**

قد يكون المعلم فى أحد الصور التالية :

- نمطى، ولا يعمل بكفاءة (٠، ٠).
- نمطى، ويعمل بكفاءة (٠، أ).
- موهوب، ولا يعمل بكفاءة (س، ٠).
- موهوب، ويعمل بكفاءة (س، أ).

* **المتعلم الموهوب :**

- موهوب، ولايهتم كثيرا بما يتعلمه (ص، ٠).
- موهوب، ويهتم بما يتعلمه (ص، ب).

فى ضوء التصنيف السابق، يمكن تكوين مصفوفة التفاعل الصفي، على النحو التالى :

مصفوفة التفاعل الصفى للمعلم والمتعلم

المتعلم / المعلم	(ص ، ٠)	(ص ، ب)
(٠ ، ٠)	(٠ ، ٠ ، ص ، ٠)	(٠ ، ٠ ، ص ، ب)
(٠ ، أ)	(٠ ، أ ، ص ، ٠)	(٠ ، أ ، ص ، ب)
(س ، ٠)	(س ، ٠ ، ص ، ٠)	(س ، ٠ ، ص ، ب)
(س ، أ)	(س ، أ ، ص ، ٠)	(س ، أ ، ص ، ب)

وفى وجود ثلاثة خصائص على الأقل، تتمثل دلالات المصفوفة السابقة، فى الآتى :

- المعلم النمطى، ويعمل بكفاءة يسهم فى إظهار موهبة المتعلم.
- المعلم الموهوب، رغم إنه لايعمل بكفاءة، فإن يؤكد موهبة المتعلم.
- المعلم الموهوب، ويعمل بكفاءة، لايستطيع أن يفعل شيئا، إذا كان المتعلم الموهوب نفسه، على غير استعداد للعمل.
- المعلم الموهوب، ويعمل بكفاءة، يحقق أقصى ظهور لموهبة المتعلم.

ثالثا : منظومة تعليم الموهوبين فى عصر التميز والإبداع.. إلى أين؟

أوضحنا فى أولا بأن عصرنا يتسم بالتميز والإبداع، لذلك يتطلب التعامل معه قدراً كبيراً، لايستهان به من الموهبة. وهنا قد يقول قائل : إن عصرنا يسمح بقبول جميع المستويات، بعد ظهور برامج الكمبيوتر الخاصة بالذكاء الاصطناعى.

الحقيقة، تسهم برامج الكمبيوتر الخاصة بالذكاء الاصطناعى فى قبول العصر لجميع الأفراد من ذوى الذكاء المتوسط أو المتدنى، من الناحية الإنسانية فقط، حيث يستطيع أى فرد يقع فى تلك الزمرة أن يتعامل مع الآخرين، بدرجة ما من السهولة واليسر. وبذلك، يمكن للآخرين قبوله كفرد إنسانى، يجب عليهم احترامه ومساعدته فى تحقيق حاجاته ومطالبه الاجتماعية.

ولكن، فى ظل عصر التميز والإبداع، الذى يتطلب من الفرد أن يكون لديه قدرة فائقة على استيعاب ثقافة ناسه، بدرجة من الوعى المسئول ومتعدد الجوانب، يكون من الصعب بمكانة أن يتفاعل الأفراد العاديين بفاعلية مع هذا العصر.

ومما يؤكد ما تقدم، أن الفرد العادى لايملك القدرة، التى تمكنه من أن يسهم فى تعميق الإيجابيات وتحريك جماعته لصياغة البُنى الاعلى فالاعلى، حيث يمثل ذلك ألف باء عصر التميز والإبداع، وذلك على عكس ما يقوم به الموهوب من إنجازات بالنسبة لتلك البُنى، يتحقق عن طريقها درجة من الرقى والإنجاز والقيم الإنسانية، القادرة على العطاء والانتشار.

وعندما نحاول تحديد توجهات منظومة تعليم الموهوبين فى عصر التميز والإبداع، فذلك يجب أن يتم من خلال الأسس التالية :

- تحديد الموهوبين أنفسهم، يمثل الخطوة الأولى لمعرفة مسار تعليم الموهوبين فى عصر التميز والإبداع.
- الوقوف على مدى مناسبة بنية مناهج الموهوبين وتركيباتها، يسهم فى تعليم الموهوبين.
- دور المعلم الموهوب فى تعليم المتعلم الموهوب، هو الأساس فى عصر التميز والإبداع.
- المناخ التربوى الديمقراطى، يسهم فى إتاحة الفرص المناسبة لظهور قدرات المتعلمين الموهوبين.
- التقنيات التربوية الحديثة، تربط المتعلم الموهوب بالأحداث التى تدور فى عصر التميز والإبداع.
- أساليب التقييم، يمكن أن تكون أدوات فاعلة، تسهم فى زيادة فاعلية تعليم المتعلم الموهوب.
- احترام قيمة الوقت، والنظر إليه كتقنية، يعمل على إدارة المواقف التى تظهر فيها إبداعات المتعلم الموهوب بفاعلية.
- توفير المواقف التعليمية خارج المدرسة، يمكن أن تصقل الموهبة، وأن تفجر طاقات الإبداع عند الموهوبين.

وفيما يلى مناقشة الأسس السابقة باختصار شديد، وذلك فى ضوء الواقع الفعلى لمنظومة تعليم الموهوبين :

١- تحديد الموهوبين :

من الناحية النظرية، قمنا بتصميم منظومة تعليم الموهوبين. ولكن، من الناحية العملية، حيث يتم تعليم الموهوبين فى فصول مشتركة، مع نظرائهم العاديين، لايقوم لتلك المنظومة قائمة، لذلك يتوه الموهوبون فى الزحام، وسط بقية المتعلمين. لذلك، نقول بدرجة كبيرة من الثقة، من الصعب تحديد الموهوبين، فى فصول عالية الكثافة، حيث تصل كثافة بعض الفصول فى المرحلة الابتدائية إلى ٧٠ تلميذاً، وخاصة فى مدارس الأرياف والقرى والنجوع.

٢- مناهج الموهوبين :

يتعلم الموهوبون نفس المناهج المخصصة لتعليم أقرانهم العاديين، رغم ما يتميزون به من قدرات، تساعدهم على تعلم مقررات دراسية متقدمة، تتوافق مع ظروف عصر التميز والإبداع. أيضا، فى ظل المناهج المعمول بها، لايتاح للموهوبين الفرصة لتعلمها بالطريقة، التى تجعلهم يبدعون من خلالها.

٣- المعلم الموهوب :

نادراً، ما يوجد وسط العدد الهائل من المعلمين، معلمون موهوبون بفطرتهم وطبيعتهم. أيضا، لايتم إعداد المعلمين بأساليب تساعد على إظهار مواهبهم الإبداعية، إذ يتم تعليمهم بأساليب وطرائق تصنع من المجتهدين منهم معلمين أكفاء فى مهنة التدريس، أى معلمين يجيدون فنيات التدريس وآلياته فقط، دون إظهار مواهبهم الحقيقية.

وإذا فرضنا وجود بعض المعلمين الموهوبين، وهذا صحيح بالطبع، فإن مواهب هؤلاء المعلمين لاتظهر، بسبب إنشغالهم بظروفهم الخاصة، وبسبب ضغوط العمل المفروضة عليهم، والتى تسبب لكثيرين منهم الإجهاد الجسمى والنفسى، والملل والسأم من ممارسة مهنة التدريس ذاتها.

٤- المناخ التربوى الديمقراطى :

لايتوافر هذا المناخ فى ظل عمليات التوجيه التربوى السلطوى العليا، حيث يخضع عمل المعلم للمتابعة من أكثر من جهة تربوية وغير تربوية، فهناك المتابعة على مستوى السلطات المحلية، ناهيك عن اللجان التى ترسلها الوزارة لمتابعة العمل فى المدارس. حقيقة، ينبغى أن لايهتز أداء المعلم بسبب المتابعات آنفة الذكر طالما أنه يعمل بضمير واجتهاد وثقة فى النفس، لكن إحساسه بأنه مرصود من قبل الآخرين، وكأنه متهم دائما، يصيب المعلم بخيبة الأمل فى أن ينطبق عليه تشبيه (**أحمد شوقى**) : « كاد المعلم أن يكون رسولا ». أيضا، التهديد المستمر بنقل المعلم من مدرسته، أو نقله إلى محافظة أخرى، لأنه يعطى دروساً خصوصية، يجعله يجد ألف طريقة وطريقة للتحايل، للخروج من هذا المأزق، حيث يؤدى فقط المطلوب منه فى الحصة الدراسية بأسلوب نمطى، دون اهتمام يذكر بالمتعلمين، لتحديد ما إذا كان بينهم موهوبين، يحتاجون لرعاية خاصة، أم لا.

٥- التقنيات التربوية المعاصرة :

المدهش فى الأمر، يوجد فى عدد كبير من المدارس أجهزة كمبيوتر، ورغم ذلك، لايتوافر بها أساسيات المواد التعليمية المساعدة أو المعينة، حيث تعجز ميزانيات المدارس عن

توفير الأدوات، التى يمكن للمتعلمين، وخاصة الموهوبين منهم، استخدامها فى إعداد اللوحات أو البطاقات التعليمية. ويمكن القول بدرجة كبيرة من الثقة، لايوجد فى غالبية المدارس، على جميع مستوياتها، معامل للوسائل التعليمية.

٦- أساليب التقييم :

من منطلق أن العملية التعليمية تقوم على أساس التلقين من قبل المعلم، والحفظ من قبل المتعلم، فإن أساليب التقييم فى مجملها، توجه جل اهتمامها نحو ما حصله المتعلم. وعليه، فإن عملية الاستظهار لاتكشف مطلقاً قدرات الإبداع عند المتعلم. والغريب، إن بعض المعلمين يصنفون بعض المتعلمين من ذوى التحصيل المرتفع، بأنهم من الموهوبين. ولكن، ذلك يجافى الحقيقة بدرجة كبيرة، إذ نجد بعض المتعلمين ممن حصلوا على الثانوية العامة بمجاميع تزيد عن ٩٥٪، يفشلون فى تعليمهم الجامعى.

٧- الوقت :

فى مجتمعنا، يمثل الوقت معضلة كبرى للمتعلمين ولغير المتعلمين، على حد سواء، بسبب عدم تعلمهم كيفية إدارة الوقت. والنتيجة الطبيعية أن المتعلم العادى الذى يستطع إدارة الوقت بكفاءة، ينجز بكفاءة عالية فى تعليمه، وفى عمله المستقبلى، مقارنة بقرينة المتعلم الموهوب، الذى لم يتعلم أساليب إدارة الوقت، مع الأخذ فى الإعتبار أن العملية التعليمية بتوجهاتها الحالية، لاتعير أدنى اهتمام للهدف السابق.

٨- مواقف التعليم خارج المدرسة :

تعمل المدرسة بمعزل عن بقية المؤسسات المجتمعية الأخرى، بسبب عدم وجود قنوات إتصال معها. لذلك، من النادر جداً، تحقيق مواقف تعليم حقيقية خارج المدرسة، رغم إن مواقف التعليم خارج المدرسة، يمكن أن تساعد المدرسة فى التنبؤ الواقعى لحقيقة إبداعات المتعلم. فمثلا، قد يكون المتعلم موهوباً فى ناحية ما، غير تلك التى يتعلمها فى المدرسة، ولكن ذلك لايظهر للمعلمين، لعدم وجود اتصال بين المدرسة والمجتمع.

خلاصة القول :

رغم إننا نعيش فى عصر التميز والإبداع، فإن وجود منظومة لتعليم الموهوبين أمر مشكوك فيه. وإذا نظرنا إلى الموهوبين كأفراد، فإنهم يتعلمون فى طريق مسدود، يصعب تجاوزه فى أغلب الأحوال، وبالتالى فإن نسبة كبيرة منهم تفقد مواهبها على الطريق، أو يتم وأدها فى مهدها.

خاتمة:

يُظهر الحديث السابق إنه من الصعوبة تحديد المتعلمين الموهوبين، بسبب كثافة الفصول العالية، وخاصة فى المرحلة الابتدائية. وتكمن المشكلة الرئيسة فى عوامل ترتبط بقضية الموهوبين بصورة مباشرة، مثل : عدم توفر أدوات وقياسات يمكن عن طريقها تحديد الموهوبين المبدعين، وظروف المعلم النفسية والاجتماعية التى تحول دون الاهتمام بالبحث عن الموهوبين ورعايتهم، وأساليب إدارة المدرسة والفصل على أساس سلطوى علوى يجب الإلتزام به من قبل جميع أطراف العملية التربوية التعليمية، . . . إلخ.

أيضا، يُشير الحديث السابق إلى أن مجال تعليم الموهوبين من مدخل منظومى، يتطلب العديد والعديد من الدراسة، وفقاً لمتغيرات عصر التميز والإبداع الكثيرة والمتلاحقة. وفى هذا الصدد، يمكن إجراء دراسات وبحوث عديدة، نذكر منها كنماذج فقط، ما يلى :

- منظومة تعليم الموهوبين فى ظل أخلاقيات عصر التميز والإبداع.
- منظومة تعليم الموهوبين فى ضوء نظام تربوى ديمقراطى.
- منظومة تعليم الموهوبين داخل المدرسة وخارجها.
- منظومة تعليم الموهوبين باستخدام التقنيات التربوية المتقدمة.
- منظومة تعليم الموهوبين فى ضوء الأوضاع المادية والاجتماعية المتردية للمعلم.
- منظومة تعليم الموهوبين فى ضوء تحديات العصر.
- منظومة تعليم الموهوبين على أساس التنوع الثقافى، ولقاء الحضارات.

إن النماذج السابقة، وغيرهامن نظيراتها الكثيرة فى مجال منظومة تعليم الموهوبين، يجب الاهتمام بها، وسرعة دراستها، وخاصة أن الموهوبين هم عدة وعتاد أى مجتمع إنسانى، كما أنهم حاضر هذا المجتمع ومستقبله فى آن واحد.

المراجع

(١) بيتر. ت. موكلينسكى، ترجمة محمد على ثابت، «حقوق الإنسان والشركات متعددة الجنسيات : هل هناك مشكلة؟»، **مجلة الثقافة العالمية** (الكويت)، العدد ١١٢، مايو – يونيو ٢٠٠٢.

(٢) أمانى قنديل، **المجتمع المدنى العالمى**، القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ٢٠٠٢.

(٣) بركات محمد مراد، «العولمة.. ذلك المفهوم المراوغ»، **مجلة العربى** (الكويت)، العدد ٥٢٦، سبتمبر ٢٠٠٢.

(٤) عبد الستار إبراهيم، **الحكمة الضائعة.. الإبداع والاضطراب النفسى والمجتمع**، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٨٠، إبريل ٢٠٠٢.

(٥) ـــــــــــ، **الإبداع : قضاياه.. وتطبيقاته**، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٢.

(٦) محمد على وردم، «المخ ضد الشمولية»، **مجلة العربى** (الكويت)، العدد ٥٢٦، سبتمبر ٢٠٠٢.

الفصل التاسع

الجدوى الاقتصادية لتعريب مقررات منظومة التعليم الجامعى فى عصر العولمة

- تمهيد.
- الترجمة والتعريب.
- واقع مقررات منظومة التعليم الجامعى على مستوى البكالوريوس والليسانس.
- واقع مقررات منظومة التعليم الجامعى على مستوى الدراسات العليا.
- التعريب فى عصر العولمة.
- الجدوى الاقتصادية لتعريب مقررات منظومة التعليم الجامعى.
- خاتمة.

تمهيد:

تواترت فى الفترة الأخيرة الأحاديث التى تدور حول تعريب العلوم، وذلك من منطلقين ، أولهما : قومى بحت؛ يرى أن المصريين أصحاب حضارة تجاوزت سبعة آلاف عام، وأن العالم بأسره مازال يبحث فى بعض الأسرار والألغاز، التى تركها الأقدمون، كشواهد شامخة على علو قامتهم العلمية، بحيث لم تصل الأجهزة الدقيقة والنظريات الحديثة، إلى كشف ستارها بعد . وثانيهما : ينبثق من موقف مضاد للغرب، على أساس أن تدريس العلوم باللغات الأجنبية فيه مهانة، لأن أصحاب هذه اللغات، لم يكونوا أبداً أصدقاء للأمة العربية، وإنما حاولوا دوماً إستغلالها، ونهب ثرواتها وخيراتها .

أولا : الترجمة والتعريب :

الترجمة تعنى النقل الدقيق للنص من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية ، دون تدخل يذكر من المترجم، غير أنه أحيانا يشير إلى تغيير الأسماء، بما يتوافق مع الأسماء العربية الشائعة، كأن يغير المترجم إسم (جون) إلى إسم (أحمد) . وفى هذه الحالة، يشير المترجم إلى الإسم الذى جاء فى النص الأصلى .

أما التعريب، فإنه يقوم على أساس المحافظة على روح النص بدرجة كبيرة، وإن كان المعرب يمكنه الإضافة أو الحذف فى الموضوع الذى ينقله إلى اللغة العربية . بمعنى؛ يكون للمعرب حرية بدرجة ما، فى تحقيق بعض التعديلات، أو إضافة بعض الفقرات، ويقوم بالتعليق على هذه التعديلات والإضافات، موضحاً المبررات التى تدعوه إلى ذلك .

وعلى أية حال، سواء كانت العملية فى صورة ترجمة أو تعريب، فإن القصد منها، النقل إلى اللغة العربية،، كلغة قومية لنا .

ثانياً : واقع مقررات منظومة التعليم الجامعى على مستوى البكالوريوس والليسانس:

بالنسبة للمقررات والمواد الدراسية، التى يتم تعليمها فى الكليات النظرية (الآداب، الحقوق، التربية ، الإعلام، الاقتصاد والعلوم السياسية، التجارة، . . . .إلخ)، لاتوجد أية مشكلة بالنسبة لقضية تعريب العلوم على مستوى البكالوريس والليسانس، إذ يتم تقديم جميع المقررات والمواد الدراسية باللغة العربية ، بإستثناء مادة دراسية واحدة، يتم أحيانا تدريسها باللغة الأجنبية، تحت مسمى: مقرر دراسى ثقافى، أو نصوص باللغة الانجليزية فى مادة التخصص، أو لغة أجنبية، أو . . . .إلخ .

وبالنسبة لتعريب العلوم فى الكليات العملية، مثل : العلوم ، والطب، والهندسة، والصيدله، . .إلخ ، فالتدريس فيها يأخذ أحد المنحيين التاليين:

(١) التدريس باللغة الأجنبية لجميع الموضوعات، بكامل تفصيلاتها.

(٢) التدريس باللغة العربية ، مع كتابة المصطلحات والمعادلات والرموز باللغة الأجنبية.

وسواء يتم التدريس بأى من الطريقتين، فإنه لايمثل مشكلة بالنسبة لطلاب الكليات العملية، لأنهم يتعاملون مع هذا الوضع من بداية الطريق حتى نهايته، بالحصول على درجة البكالوريوس.

أما المشكلة الحقيقية، فتتمثل فى بعض الكليات النظرية، التى تتضمن لائحتها، تدريس بعض المواد الأكاديمية العلمية، مثل : الرياضيات والفيزياء والكيمياء والصحة العامة والإحصاء. . .إلخ، إذ يتم التدريس باللغة العربية، مع كتابة المصطلحات والمعادلات والرموز باللغة الأجنبية، وذلك يمثل مواقف عويصة لغالبية الطلاب، وخاصة الطلاب الحاصلون على شهادة إتمام الثانوية العامة (القسم الأدبى).

ثالثاً : واقع مقررات منظومة التعليم الجامعى على مستوى الدراسات العليا:

تتطلب الدراسة على مستوى الدراسات العليا، الانفتاح على العالم، عن طريق شبكات الإنترنت، للوقوف على أحدث البحوث والقضايا العلمية . وللأسف، يمثل هذا الانفتاح، مشكلة محيرة جداً بالنسبة للذين لايمتلكون ناصية الأمور بالنسبة للتمكن اللغوى الأجنبى، وبالنسبة لمعرفة أساليب إستخدام الكمبيوتر، وجلب المعلومة عن طريق إنترنت.

حقيقة، قد لاتعانى نسبة كبيرة من خريجى الكليات العملية، من مشكلة اللغة وإنترنت، بسبب تأسيسهم اللغوى الأجنبى، يتم بدرجة معقولة اثناء الدراسة، أو بسبب تعاملهم من الكمبيوتر فى دراستهم أوفى حياتهم العملية، أما، خريجى الكليات النظرية، الذين يرغبون فى الحصول على درجات دراسية عليا(دبلوم – ماجستير– دكتوراه)، فإنهم يعجزون تماماً عن التعامل مع المصادر والكتب الأجنبية الموجودة فى المكتبات، ومع المعلومات التى يمكن الحصول عليها عبر شبكات إنترنت . وفى كلتا الحالتين، يضطرون إلى جلب المعلومة عن طريق الآخرين ، ثم البحث عمن يقوم بترجمتها لهم، للاستفادة منها فى المهام المطلوبة منهم.

والمأساة الحقيقية، تتمثل فى بعض المعيدين والمدرسين المساعدين، من الحاصلين على درجات الليسانس فى اللغة الانجليزية، إذ يفشلون فشلا ذريعاً فى اختبار توبفل Toefel، المطلوب إجتيازه، كشرط أساسى لإستكمال الدراسة فى الولايات المتحدة الأمريكية، فيضطرون إلى تعديل بعثاتهم إلى دول أخرى، تتساهل فى شرط إجتياز إختبار توبفل Toefel، ولا تعليق بعد ذلك.

رابعاً : التعريب في عصر العولمة :

دون الدخول في متاهات توصيف عصر العولمة، ودون الإدعاء بأننانعيش عصر الأمركة، على أساس أنها تمثل الفارس الوحيد في الميدان ، ودون .. ودون.. إلخ، فإننا لايمكن أن ننكر أن العولمة قائمة، ولها وجودها الحقيقي، وتقوم على أساس إمكانية التلاقي وجها لوجه مع الآخر. بمعنى؛ يفرض عصر العولمة علينا بإلحاح ولحاجة، التعامل مع الآخر،بشرط أن يتم هذا التعامل من منطلق : «إذا أردت أن أحترم ثقافتك، فعليك أن تحترم ثقافي أولاً».

أيضاً، في عصر العولمة، وهذا هو المهم في موضوعنا، هناك دعوة قوية، لها صداها المباشر حاليا على نوعية التعليم وجودته، تقوم على أساس مدارس وجامعات بلا أسوار أو جدران.

وفي ظل الدعوة السابقة، كي يفهم الفرد الآخر، ويتعلم منه، ويعلمه، في الوقت نفسه، عليه أن يتصل به أولا، ثم يقيم معه حواراً مباشراً. وبالطبع ، فإن هذا الإجراء مهم للغاية، في تأكيد الذاتية الثقافية. ولكن ، إذا إتصل الفرد بالآخر، وفشل في إقامة حوار معه، فإما يغلق سريعاً قنوات الإتصال بينه وبين الآخر، أو يتأثر به، منبهراً بما وصل إليه ، وبما حققه من إنجازات.

وعلى صعيد آخر، إذا أخذنا في الإعتبار، أن الآخر هو مصدر التدفق المعلوماتي، بسبب ثورة المعلومات التي حققها في الثلاثين سنة الأخيرة، وبسبب تخلفنا بإرادتنا أو بغير إرادتنا عن الركب العلمي، نجد أن الآخر أصبح مهما بالنسبة لنا من الناحية العلمية، سواء شئنا أو أبينا. وحتى يمكن التعامل مع الآخر ، علينا أن نفهم لغة الآخر، ومن هنا تتجلى أهمية تدريس العلوم بلغتها الأصلية.

أخيراً، بسبب التدفق المعلوماتي، في عصر العولمة ، وفي وجود الكمبيوتر والإنترنت، أصبحت هوية الأعمال وطبيعة الوظائف، تتجاوز المحلية وتتطلب الإنفتاح إلى العالم الخارجي، من خلال نوافذ اللغات المختلفة ، لذا أصبح التكالب على دورات اللغات الأجنبية، ظاهرة لها وجود حقيقي، إذ دون التمكن الكامل في لغة أجنبية أو أكثر لايستطيع الفرد الحصول على مهنة أو عمل مناسب.

ولعل ذلك كان وراء ظهور شعب في بعض الكليات (على سبيل المثال: التجارة والحقوق)، تتم الدراسة فيها باللغة الانجليزية أو الفرنسية ، بالنسبة لجميع المقررات، ويتم القبول فيها بمجموع أعلى من مجموع القبول لنظيراتها، التي يدرس الطلاب فيها باللغة

العربية. وأحيانا، يرفض بعض الطلاب الإلتحاق بكليات عملية، ويلتحقون بالشعب التى يتم التدريس فيها باللغة الانجليزية، فى بعض الكليات النظرية، على أساس إمكانية حصولهم على وظيفة مقبولة، بعد التخرج. وفى المقابل، يضطر بعض الخرجين ، ممن درسوا باللغة العربية فى الجامعة ، لأخذ دورات فى بعض اللغات الأجنبية ، من أجل تحقيق التساوى مع نظرائهم الذين درسوا باللغة الأجنبية ، بالنسبة لفرص العمل. وعليه، فإن فكرة تعريب العلوم فى التعليم العالى، تكون فكرة ممجوجة بدرجة كبيرة، فى ظل التنافس العالمى، وفى ظل متطلبات سوق العمالة. وبالعكس ، ينبغى التفكير جدياً، من أجل رفع مستوى خريجى الجامعات، فى اللغات الأجنبية، دون إهمال لغتنا العربية القومية. بمعنى؛ إذا أردنا أن نهتم باللغة الأجنبية، فلا يكون ذلك على حساب اللغة العربية، بل يكون من خلال الخطط التى تحقق المنحيين معا.

خامساً : الجدوى الاقتصادية لتعريب مقررات منظومة التعليم الجامعى:

من منطلق المنهج المنظومى، على أساس المدخلات والمخرجات، يمكننا أن نفرق بين تعريب العلوم ، كهدف ثقافى وكهدف دراسى، من خلال الشكلين التاليين:

أولاً:

تسهم عملية التعريب فى إنتاج الانسان المثقف ، إذ كان يمتلك موهبة القراءة بفهم، أو على أقل تقدير، يمارس عادة القراءة. أما الإنسان ، الذى لا يقرأ، فلا تعنيه من قريب أو من بعيد عملية التعريب. وحيث أن نسبة كبيرة من الأفراد، تعانى من الأمية الثقافية، رغم حصولهم على درجات علمية، فإن التكلفة الاقتصادية لعملية القراءة ، تذهب هباءاً منثوراً ، أو مع أدراج الرياح.

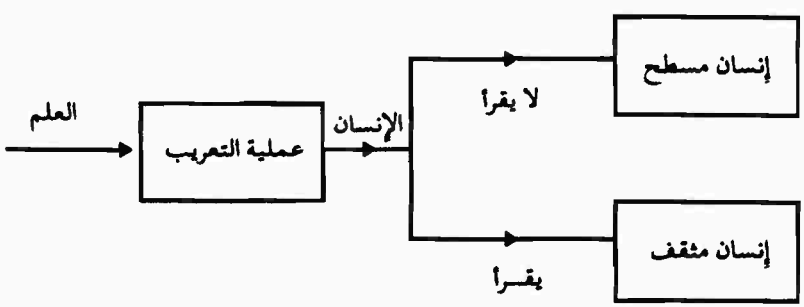

ثانياً :

فى ضوء ما تقدم ، فإن تعريب العلوم، بجانب تكلفته المادية العالية، وبفرض وجود الكوادر المتخصصة التى تستطيع تحقيق هذا العمل بكفاءة وجودة مرتفعتين، لن تكون له جدوى إقتصادية على المستوى البعيد، وخاصة أن لغة العلم عالمية المنشأ ، كما تتطلب عملية تعلم العلم ذاته، الوصول إلى منابعه، طالما لاتتوفر المنابع لدينا .

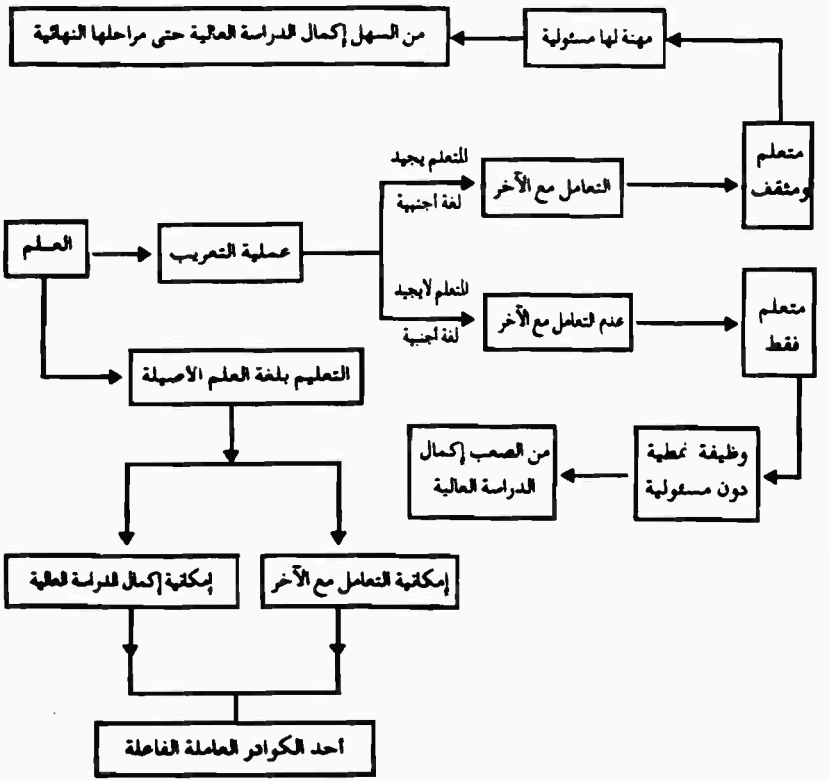

خاتمة:

قد يعتقد البعض خطئاً أن الحديث السابق، يدعو إلى إنتماءات وتواصلات خارجية قد تهز الثقافة القومية ذاتها. والحقيقة، غير ذلك تماما، إذ يدعو الحديث السابق إلى أهمية وضرورة أن نكون من مصادر المعلومات، وليس من مستوردى المعلومات. وعندما يتحقق هذا الغرض النبيل، والهدف السامى، فإننا لانحتاج إلى الآخر، إلا فى أضيق الحدود، وربما يحتاج الآخر إلينا، وبذا تكون السيادة لثقافتنا، والهيمنة لهويتنا العلمية.

أيضاً، لحين ما يأتى الوقت لنكون من مصدرى المعلومات، فإن ما نخشاه من حركة التعريب، والتى تعطى المعرب حرية التصرف بدرجة ما فى النص، أن يتجاهل المعرب المصطلحات الموجودة فى النص الأجنبى خلال عملية التعريب، فلا يذكرها بجانب نظيراتها العربية، وذلك قد يسبب خلطاً عظيم الشأن، وخاصة إذا كان التعريب غير دقيق أو حرفياً لا يعطي معلومات كافية عن المصطلحات الأجنبية، مما يعطي الفرصة لفهم دلالة المصطلح الأجنبى، بأكثر من طريقة ومنهج، تبعا لهوية المعرب ونظامه، ولعل التجارب السابقة فى مجال التعريب لهى خير دليل، حيث يختلف معنى ودلالة المصطلح الواحد فى الدول العربية، باختلاف النظام السياسى والمضمون الثقافى فى كل دولة على حدة.